

أردشير و حياة النفوس

قصة غرامية تلحينية

تأليف

أحمد زكي أبو شادي

أردشير و حياة النفوس

أردشير و حياة النفوس

قصة غرامية تلحينية

تأليف

أحمد زكي أبو شادي

المحتويات

٧	إهداء الأوبرا
٩	تصدير
١١	مقدمة الكتاب
١٧	تلحين الأوبرا
٢٣	موضوع القصة
٢٩	أشخاص القصة
٣١	نسق التمثيل
٣٣	تمثيل القصة
٣٥	الفصل الأول
٤٩	الفصل الثاني
٦٥	الفصل الثالث
٧٧	الفصل الرابع

إهداء الأوبرا

إلى روح المرحوم الشيخ سيد درويش (نابغة الموسيقى المصرية).

تصدير

لما عهد إليّ مدير (شركة ترقية التمثيل العربي) في مصر بوضع قصة تلحينية تمثيلية من نوع الأوبرا مُستمدة الموضوع من (ألف ليلة وليلة) ترددت في بادئ الأمر، ثم قبلت أخيراً لا اعتقاداً مني بأن موضوعات (ألف ليلة وليلة) هي أنسب الموضوعات للأوبرا المصرية، ولا ولوعاً بالاقتباس، ولا خوفاً من التأليف الأصيل، وإنما لمحض رغبتني في اكتساب ثقة رجال التمثيل بدعوتي إياهم إلى السمو بموضوعنا كيفما كان نوع التمثيل، فأردت أن أبرهن بإعداد هذه القصة التمثيلية في نيف وستين وخمسمائة من الأبيات المنوعة، كما طُلبَ إليّ — بعد اقتباسها من روايتها الطويلة الواقعة في نحو خمس وثلاثين صفحة من الجزء الثالث لكتاب (ألف ليلة وليلة) — بأن عزّو في عن هذا المصدر لا يرجع لعامل العجز في التصنيف وإنما لدافع قوميّ تهذيبيّ.

وحرصاً على مبدئيّ هذا وحباً في خدمة الفن الخدمة الواجبة حرصت في تأليفي: أولاً؛ على أن أجعل للقصة مغزىً أدبيّاً أجلاً من مغزاها الأصلي بما بَنَتْهُ فيها من شرح وآراء نفسية. ثانياً؛ أن أخدم الشعر القصصي التمثيلي الخدمة المُستطاعة في الحدود المعينة لي. ثالثاً؛ أن أُؤدّي كل ما في هذه القصة الطويلة من حوادث هامة إشارة أو تمثيلاً بحيث أدل بذلك على إمكان تأليف القصة مهما طال أصلها في القوالب الشعرية العربية في أي مجال يُستحسن ويُحدد. رابعاً؛ أن أخدم تمثيل الأوبرا ذاته باختيار الفصول وتنظيمها وبنمط القصة وبيانها الشعري الموسيقي، فضلاً عن اختيار موضوع القصة الذي لم يطرقة مؤلف مسرحي من قبل، منعاً للتكرار والنقل المتفشّي للأسف بيننا.

في هذا الوقت الذي نحن أحوج ما نكون إلى تأصيل الشعور الوطني والاعتداد به اعتقد أن الأولى بنا والأحجى أن لا ندع الأقلام تشط في التأليف المسرحي مستمدة وحيها

من الخرافات الفارسية والهندية ونوادير العامة ونحوها التي يتألف منها كتاب (ألف ليلة وليلة) وأشباهه، بينما لدينا مادة خيالية وتاريخية وقصصية أدبية لا تفنى في تاريخ مصر قديماً وحديثاً، وهكذا نستطيع أن نخدم الفن والروح القومي والأدب في وقت معاً. وبديهي أنني لا أحرّم ذلك الاقتباس وإنما أنتقد التهاك عليه، والولوع بالموضوعات الأجنبية، بينما لدينا في قصص البردي وفي تاريخنا القديم الكثير من العجيب المستملح الجدير بالإحياء المسرحي.

بهذا الروح نظمت هذه القصة وقد أنظم غيرها من نوعها في هذا الدور — دور الانتقال من المحافظة البالية إلى التفنن الجديد — باذلاً جهدي للجمع بين الخدمة الأدبية التهذيبية وبين الخدمة المسرحية الفنية، ولكن أحبّ الآمال لدي إنما هو خدمة المسرح من الوجهة القومية أيضاً كيفما كان نوع التأليف، وهو ما أعاهد الأدباء عليه فيما سينشر من تألّيفي المسرحية إذا سمحت الصحة والأجل.

الإسكندرية في ٢٥ مايو ١٩٢٧

أحمد زكي أبو شادي

مقدمة الكتاب

بقلم محمد سعيد إبراهيم

رابطة الأدب الجديد

يروج في المسرح المصري في السنوات الأخيرة نوع من القصة التمثيلية أُطلق عليه زوراً اسم «الأوبرا» لدخول الغناء فيه، وقد حوت تلك القصص من صنوف التدجيل والمساخر ما يزرى بالاسم الذي أطلق عليها، وأكبر ما تستند عليه في اجتذاب جمهور الناس التجاؤها إلى النكات الغثة والفكاهات السطحية التي شاعت بين العامة، ولم تكن تُعنى بعد ذلك بأوضاع التأليف الفني ولا بما تُبنى عليه القصة الصحيحة. وقد جازت هذه السلعة على الناس ونفق سوقها بينهم لإرضائها روح الفكاهة الفارغة فيهم، وهي قد جارت — بتهافت الجمهور عليها — على فنون المسرح الجدية واكتسحتها إلى حد كبير، ولكننا لا نرى فيها ما يدعو إلى الخوف على مصير التمثيل في مصر؛ إذ إن مآلها العاجل أن تصبح حروفاً خرساء.

أثرٌ واحدٌ قد خلفته هذه الروايات في تاريخ النهضة الفنية في مصر لا نريد أن نجد فضله إذا جزنا هذا الدور الذي مر به التأليف المسرحي: هذا الأثر هو ما صاحبها من النشاط الموسيقي الذي أسبغ على الأغاني الشعبية روحاً جديدة وأنتج من التأليف الموسيقية في سنوات قليلة بعد الحرب الكبرى ما يربو على منتجات الموسيقى منذ أيام

عبده الحمولي. وكان السيد درويش علمًا كبيرًا في هذه النهضة، وكانت أشباه الأوبرات المسوخة التي تكلمنا عنها حافرًا لفنه، وفيها أودع الجانب الأوفر من أغانيه. ومنذ ذلك الوقت تفتحت أمام الموسيقى المصرية آفاق واسعة؛ إذ تناولت موضوعات لا عهد لها بها من قبل، فتخلصت بذلك من طابع التهاون والاطّراد، وتحررت من روح الاسترخاء وعذوبة التلحين التي لا يُراعى فيها معنى ولا موضوعًا، وبدأنا نرى فيها موسيقى معبرة صادقة، وأدرك الملحنون أن الموسيقى تعبير مصور وليست مجرد إيقاع عذب وتلاعب بليد بالأصوات!



الأستاذ محمد سعيد إبراهيم (سكرتير رابطة الأدب الجديد).

بعد هذه المقدمات الموسيقية أفسح السبيل لظهور الأوبرا الراقية في ميدان الإنتاج الفني وأصبح من المستطاع أن تخرج القصة الشعرية في ثوبها الغنائي المسرحي، فإذا نحن تناولنا الكلام عن الموسيقى والموسيقيين فذلك لأن الموسيقى تقاسم الشعر فضل إخراج الأوبرا، ولأن تاريخ الأوبرا في الأمم التي ظهرت فيها بأوروبا كان في الحقيقة تاريخًا

للتطور الموسيقي؛ ولهذا السبب كانت الأوبرا آخر أنواع التأليف المسرحية في الظهور في مصر لاعتمادها على فن آخر لا قيام لها بدونه.

والأستاذ أحمد زكي أبو شادي من واضعي الحجر الأول في إيجاد الأوبرا في مصر، وربما كانت إقامته الطويلة في أوروبا التي أتاحت له الوقوف على مختلف فنون المسرح هي التي جعلته أسبق من غيره من الشعراء وأنفذ بصراً في إدراك افتقار التمثيل إلى هذا النوع من الروايات التمثيلية، وكان وهو الشاعر الفياض المطبوع أطلق من غيره يدًا في الشعر القصصي، وأمضى في اقتحام هذا الطريق المجهول في الأدب العربي، ولا نشك في أن شاعرًا مثله جديرٌ بأن يضطلع بهذا العبء وينهض به.

وقد كانت (إحسان) أولى أوبراته الكبرى التي نشرتها (رابطة الأدب الجديد) منذ أمد قليل وها هو يتبعها (بأردشير) التي تتشرف (الرابطة) بأن تقدمها إلى الجمهور بهذه الكلمة.

وقد أشار المؤلف في كلمة التصدير إلى موضوع هذه القصة، وأعدر في التجائه إلى كتاب (ألف ليلة وليلة) لأخذ هذه الأسطورة التي بنيت عليها الأوبرا (أردشير). وهو إن كان قد خرج بعض الخروج عما عاهد نفسه عليه في الرجوع إلى مصادر التاريخ المصري في تأليفه، واستجاب لمطلب أحد مديري الفرق المسرحية في البلد، فليست استجابته إرضاء لرغبة فردية، بل هي في الواقع إرضاء لنزعة تغشى الجمهور عامة سواء في هذا البلد أو في غيره — نزعة الحنين إلى الجو السحري الذي يغمر قصص (ألف ليلة)، وذلك التطلع المتلهف إلى صور الحضارة الفارسية العربية وما لها من السناء والروعة الشرقية والرواء الباهر الذي يلمس من قلوبنا ناحية عميقة تسكنها روح الأساطير، نخلو إليها إذا مللنا ملابسة الواقع الغث المألوف جمامًا للنفس وروحة لها. والفن على كل حال له روحه الإنسانية العامة التي لا تُعنى كثيرًا بالعصبية القومية، وإنما نرى أن الفن المصري نفسه لن يخسر بحال من الأحوال إذا تساهل المؤلف وأحل نفسه قليلًا مما عاهد نفسه عليه. وربما كان من الخير له أن يقف على أهواء أهل جيله ويتراضاها بعض الرضاء ليحل فيها محلًا يمكنه من التسلط عليها وحملها على ما يريد بالرفق واللين.

وقصة (أردشير) كغيرها من قصص (ألف ليلة) ليست لها من الوجهة التاريخية قيمة، فلا وجود لأبطالها لا في التاريخ العربي ولا الفارسي، ولكن هذا لا ينقص من قيمتها كموضوع لقصة تمثيلية، إذ سواء في الفن القصصي أن تتخذ مادته من الروايات التاريخية الصحيحة أو من الأساطير، والصدق الفني الذي تتطلبه في القصة هو الصدق

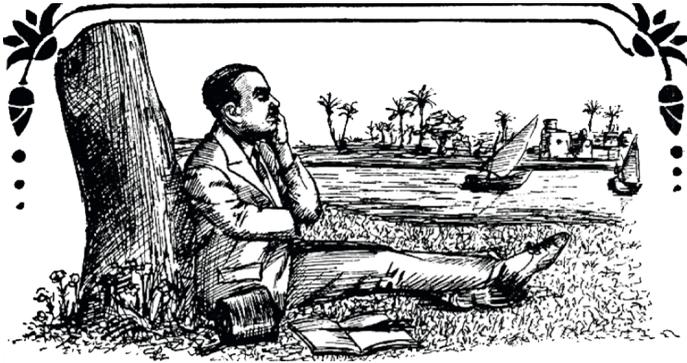
في خلق الشخصيات وترتيب الحوادث. والأساطير نفسها فيها من صدق التصوير للحياة الإنسانية في سذاجة لا أثر للصنعة فيها مما يدخلنا في صميم البيئة التي نشأت فيها. و(أسطورة أردشير) مثال له أشباه كثيرة في الأدب العربي والفارسي تتبين فيها طرائق الحب في بلاد الشرق التي عرفت الحجاب أو ما يسمى تقاليد «الحريم». وأردشير بطل هذه القصة مثال العشاق من أولاد الملوك الذين يتخذون الحب نوعاً من اللهو يشبه الصيد والقنص، كما يجرون وراء الغرائب والأمانى العسيرة الممتعة، فإننا نراه في هذه القصة يجدُّ وراء (حياة النفوس) كماجد جيسون Jason في البحث عن الجزة الذهبية، ونرى في الأسطورة نوعاً من الحب قد لا نراه في غير بلاد الشرق: ذلك الحب الذي يسوق رجلاً إلى امرأة لم يعرفها أو هو حب الرجل لفكرة المرأة المجردة!



الجمال الفني: الشعر والموسيقى والتصوير (هدية الأستاذ الفنان عنايت الله إبراهيم).

وللأستاذ أبي شادي أسلوب خاص في الشعر قد لا يرضي طائفة من القراء والأدباء قد أولعت بالأناقة اللفظية، ولا بد لنا في هذه المناسبة من أن نحدد أثر هذا الأسلوب في كتابة الأوبرا، ولا نريد في الوقت نفسه أن نتعرض هنا لمناقشة وجوه الرأي في موقف تلك الطائفة وما هي عليه من خطأ أو صواب. أمانا الآن قصة شعرية غنائية لم تُكتب لتقرأ فقط بل لتظهر على المسرح وتكون قطعة فنية يشهدها الخاصة والعوام. هكذا يريد لها مؤلفها وغير مؤلفها: فهو يبغى قبل كل شيء أن يعرض أمام الناس فناً سائغاً مفهوماً

سهلاً لا أن يجعلها معرض صناعة كلام، وطنطنة ألفاظ تعودنا أن نسمعها في كل شعر يقال في مصر، ولا نستثني من ذلك إلا أقلية الشعر الذي يكتبه المجددون ... ومثل تلك الأساليب التي تُعنى بأدب الشكل في الصياغة اللفظية ولا يهتما الجوهر كفيلة بأن تميت بطريقتها أبرع فنون الأدب إذا ظهرت في ثوبها! وقام بسببها في أذهان الناس أن الشعر تَجَمُّلٌ وضربٌ من ضروب الشعوذة لا طائل من ورائه! ولم يجزَّ الشعر إلى هذا الحضيض وينفّر الناس منه في هذا البلد إلا ما درج عليه أغلب الشعراء من تقليد العرب وتأثرهم بمعاييرهم الأدبية فيما يسمونه بشرف الديباجة وجزالة اللفظ إلى أمثال تلك الدعاوى العريضة التي لا نسمع عنها في لغة أخرى غير اللغة العربية! فلمؤلف هذه القصة من جرأته في نبذ تلك التقاليد ما يجعل له فضلاً في إعطاء الشعر روحاً مصرية غير الروح العربية التي نزيها، وقد قرب بذلك مسافة الخلف بين اللغة العربية وبين الروح العامة في لغة النشر والحديث، وأفاض عليها لوناً يتفق مع طريقة التمثيل وروح الغناء.



الشاعر (هدية الأستاذ الفنان عنايت الله ابراهيم).

تلحين الأوبرا

أيصدّق القارئ أن المكافأة التي طلبها ملحنٌ مصري معروف لوضع موسيقى هذه الأوبرا لا يقل عن ألف جنيه، بينما يعلم أن الشاعر المؤلف لن ينال عُشر هذا القدر جزاء تفكيره وإيحائه ونظمه؟ ... لا شك في أنه يصعب على القارئ هذا التصديق ... ولنزده علماً بأن ملحنًا آخر مشهورًا لم يستطع تخفيض مكافأته المطلوبة عن خمسمائة جنيه! وهكذا تقام العراقيل عن غير قصد في سبيل نهضة الأوبرا المصرية ...

لسنا من يعترض على حسن مكافأة الملحنين بل نرى هذا واجبًا على الفرق التمثيلية تشجيعًا لهم على الإتقان الذي تعود نتيجته بالربح الجزيل على هذه الفرق ذاتها، ولكننا في وقتنا الحاضر تعوزنا روح التعاون والتضحية في سبيل النفع العام، وما دام المؤلف يضحى وقلما يتناول أكثر من خمسين جنيهًا ثمنًا لجهده في قصته المسرحية، فالمنتظر من الزملاء الملحنين الأفاضل أن يجاروا هذا الروح إلى أن تتكون وتنهض الأوبرا المصرية الصحيحة، وليس المنشود المراعاة المادية فقط بل العمل على بلوغ أسمى المستطاع من إتقان، واستدراج الجمهور شَطْرَ الروح الغربية الراقية الواجب بثُّها في موسيقانا، ولا سيما في موسيقى الأوبرا.

وهنا أقفُ قليلاً لأترحم على روح نابغة الموسيقى المصرية المغفور له الشيخ سيد درويش الذي أهديتُ إلى روحه وفنِّه تنظيمَ هذه الأوبرا، فقد كان الموسيقيِّ الوجدانيَّ المطبوع المعبر عن العواطف والمواقف والمعاني أجمل تعبير، المنتقل في غير كلفة بإبداع ساحر من موقف إلى آخر.

والأديب الذي يشهد الهزليَّات الموسيقية التي ظفرت بتلحينه لا يشق عليه أن يحكم — دون سابق معرفة — بأنَّ أنغامها من وضع الشيخ سيد درويش، لما يتبيَّن فيها من روح جديد أخذ باللب، ومن تعبير حي لا يسأمه سامعوه، ومن نزعة أوروبية شائقة.

وللأسف ترك الشيخ سيد درويش بموته فراغاً لم يشغله ملحن نابغة ناشط حتى الآن، ولم يُقلد إلا فيما كان يقدره لعمله من أجر عال! ولا تزال موسيقى التخت العقيمة متفشية في المسرح قاتلة للأوبرات، وواقفة في سبيل كل نهضة ميسورة.

كنت أتحدث في هذا الموضوع أمام الممثلة الغنائية الشهيرة السيدة منيرة المهدي فانتقدت عادةً مسخ الأوبرات الأوروبية الشهيرة ووضع موسيقى مصرية لها، بدل ترجمتها شعراً وتطبيق الموسيقى الأوروبية على هذه الترجمة، فوافقني على نقدي وأشارت إلى ما قام به الموسيقار المعروف الأستاذ كامل الخلعي^١ صاحب كتاب (الموسيقي الشرقي) في تلحين الأوبرا (كارمن Carmen) مطبقاً الأنغام الأصلية بقدر الاستطاعة على

^١ مما هو جدير بالذكر تنويهاً بفضل الخلعي — الذي لا يعرفه شخصياً كاتب هذه السطور — ما ذكره في كتابه (الموسيقي الشرقي) منذ نيف وعشرين عاماً حثاً على العناية بتأليف وتلحين الأوبرا والأوبريت (راجع صفحة ١٧٩ من الطبعة الأولى). قال: «قد أشرت منذ سنتين على حضرة إسكندر أفندي فرح حينما رغب إلي أن أشغل معه بعد أن انفصل عنه الأستاذ الشيخ سلامة أن يشكل جوقة موسيقية تركية لاتحادها تماماً مع الألحان العربية، وتشغل مع جوقة الغناء سواء بسواء، حيث أكون ربطت القطعة بالنوثة أولاً وأعطيتها للجوقة الموسيقية ثانياً، فتكون في هذه الحالة كل رواية (أوبريت) وبعد ذلك يمكنني أن ألحق رواية برمتها (أوبرا)، ودللته على من يكون رئيساً لهذه الجوقة، وبالفعل جعلني الواسطة بينهما. وبعد أن قمت بهذه المأمورية خير قيام وأعجب بمهارة هذا الأستاذ الذي انتخبته للحضور ضمن بالنفقات فحضر صفحاً عن هذا العمل الجليل، فلم آل جهداً في أن نبهت إلى هذه الفكرة حضرة صديقي الفاضل الشيخ سلامة حجازي، فعسى بهمته الشماء وما عهد فيه من ميله لرقى فنه أن يتم هذا العمل العظيم الذي شرعت فيه لرقى فنين في الحقيقة هما التمثيل والموسيقى، وما على من يريد التفرد ويود أن يعمل عملاً عظيماً يدون له في التاريخ هذا الأمر بعزير.»

وقد بذل الخلعي مجهوداً في ذلك الوقت (١٩٠٤-١٩٠٦م) بدون جدوى ولم تنفعه (جمعية المعارف) التي كان رئيساً لها. والآن وقد تطور الزمن وأخذنا نعمل على تحبيب الأوبرا إلى الجمهور فقد وجب على الخلعي أن يعمل، ووجب على مثل السيدة منيرة المهدي أن لا تضن بالمساعدة الواجبة له. لقد رزقت الأمة المصرية شخصيات ثلاثاً بارزة أو مشهورة في مجال السياسة والأدب والفن، وأعني بها سعد زغلول وأحمد شوقي ومنيرة المهدي. فأما سعد فلم يجبن لحظة عن أداء رسالته فصار الروح السياسي لشعبه، وأما شوقي فقد خذل آمالنا الأدبية في قيادته بحكم انصرافه إلى أهوائه وبحكم تذبذبه وضعف إخلاصه لأدبه، وأما السيدة منيرة فهي طموحة مجتهدة حديدية الإرادة وقد بدأت تثبت روحاً فنية جديدة في الأمة وفي وسعها التقدم الباهر في هذا السبيل. فقد بلغت قمة الشهرة ولا ينقصها من زخرف الدنيا شيء، وعليها الآن واجب تهذيب الشعب عن طريق الفن بالتعاون الكلي مع أمثال كامل الخلعي والدكتور صبري وعارف ذي الفقار وغيرهم من الملحنين المجددين النابهين من المصريين وإن كانوا قلائل. وأما إذا

الترجمة العربية، وأطرت الأستاذ الخلعي كما وافقتني على واجب العناية بنظم الأوبرا وأقرت نظراتي وملاحظات التي ذكرتها في ختام الأوبرا (إحسان). ولا أدري لماذا حاد ملحنونا عن هذا التطبيق الأمين في الأوبرات الأخرى المترجمة، ولماذا لم تعتمد الفرق التمثيلية على معاونة الشعراء في ترجمتها ترجمة منظومة حتى تستكمل شروط الأوبرا؟! وإذا كان الباعث على نفور ملحنينا من هذا التطبيق الرغبة في الإبداع، فلتكن هذه الرغبة مقصورة على التأليف الأصيل، وليتقوا حرمة الفن فيطلقوا موسيقى التخت المريضة التي جنت وما تزال تجني على ذوقنا الفني!

وكم اعتذر الملحنون عن قصورهم بجهل الجمهور المصري، وحاجتهم إلى مجارته، وهذا عذر أقبح من الذنب، لا سيما والأوبرات تُكحَّرُ وتُمثَّلُ لخاصة الشعب ومتعلميه قبل عامته وجهلائه ... وهذه المسألة تذكرني بواقعة لا بأس من التنويه بها، فقد كنت أشهد (فرقة الكسار) وهي تمثل رواية (ملكة الجمال) فكان الجمهور مسرورًا من فكاهات الرواية، متابعًا مشاهدها وأغانيتها بعض المتابعة، إلى أن غنى الشيخ حامد مرسى في (دور بيكولو) ومن معه (البنات الثلاث) الأناشيد الآتية، وحينئذ دوى المسرح بالتصفيق العظيم ... وما السر الأول في ذلك إلا موسيقاها الجديدة الأوروبية النفحة المخالفة مخالفة ظاهرة لبقية أغاني الرواية! فهل بعد ذلك يصح أن يلام الجمهور المصري على تقصير ملحنينا وجمودهم، وهل يسوغ عدلاً أن يتهم في استعداده الموسيقي وفي ذوقه الفني؟! أما الأغاني المشار إليها فما هي بنصها العامي معدلة قليلاً كما سمعتها:

بيكولو:

أتاري الحياة الهنيه	دي كانت خيال في خيال!
سحابه ومرت علي	ما كُنْتُش تخطر في بال!
بلابل شجيه تغني	يا شوقي لأيام زمان!
سَلَبْتِيها يا دنيا مني	خَوَّانَه ولا لكيش أمان!

ترددت واكتفت بمجارة الجمهور الذي يحبها حباً جماً بدل أن ترشده وتقوده وتهذبه فسيكون حكم التاريخ عليها حكمه على شوقي بك، وأملنا أنها أعقل وأحصف من أن تكون كذلك.

البنات الثلاث:

ينجِّي شبابك دا نُوحَك يزيدنا
وتخفيف عذابك يا ريت كان في إيدنا

بيكولو:

في إيدكم وقادرين عليه وشرطاً في غاية السهولة
يواسي الحزين زيِّي إيَّه في شدة ألامه المهوله
خلاف المؤانسه وحسن المجانسه
ونظره لطيفه تنسِّي الوجود ولمسه لطيفه لورد الخود!

البنات الثلاث:

الكلام ده مين يقوله والممات جنبه قريب
كل شيء تقدر تقوله بس ما يكونشي معيب

بيكولو:

الهوى الصافي النزيه أجمل ما فيه
الشرف لا بد ينصان في حمى طول ما فهشِ عليه
في الأرض تنافيه الملايكه تباركه في أعلا السما

وليست معاني ولا مباني هذه الأغاني بأحسن ما في الرواية من نظم الأستاذ بديع خيري، ولكنها جاءت معبرة عن الموقف وعاونتها الموسيقى في ذلك بإخلاص تام، فنجحت نجاحاً عظيماً وصفق لها النظارة المستمعون طويلاً واستعادوا بتصفيقهم الحار. ولا أدري كيف فات حضرة الملحن وحضرة مدير الفرقة ملاحظة هذه الظاهرة سواء في هذه الرواية أو في غيرها من الهزليات الموسيقية، مما يعزز رأبي في أن صفوة الجمهور المصري أصبحت أكثر تعلقاً بالتجديد والتنويع والنفحة الأوروبية، وأكثر عزوفاً عن موسيقى التخت السقيمة.

وبعد، فلا أرى مفراً من طرح هذا السؤال وهو: إذا كان الملحنون المصريون لا يقدرون المسئولية الفنية الملقاة عليهم، ولا يحفلون بواجبهم الوطني التهديبي، ولا يعنون بالاستمرار على تكوين أنفسهم بالدرس والاطلاع والإنتاج الصالح، ولا يهتمون بالتعاون مع المؤلف الشاعر على إنشاء وترقية الأوبرا المصرية، فماذا يبقى للأخير؟ أيكثفي بجهده الأدبي ويقنع بأداء نصيبه من التأليف؟ أم يبحث بين الأوروبيين على موسيقار مستعرب مجيد ويتعاون معه على الإخراج الموسيقي؟ أم يظل متعلقاً بخيط من الأمل الضعيف زمناً أطول؟

وكما أُبرئ الجمهور من حب الجمود فكذلك لا أرى من العدل أن يكال اللوم لمغنيّاتنا ومغنيّنا المسرحيين، فقد أظهر الجميع استعداداً مشكوراً للتنقل إلى الأمام نحو الأكمل كلما أتخفهم المؤلفون والملحنون بشيء جديد راق، وإذا صح أن أغلبية الشعراء في مصر محافظون فالأصح أن كل الملحنين المصريين تقريباً جامدون، وماذا يجدي مثلاً استثناء الدكتور صبري وعبد الوهاب أو غيرهما إذا كانا لا ينتجان، أو ما دام إنتاجهما قليلاً جداً؟!

قدموا يا سادتي النقاد للسيدة منيرة مثلاً أوبرا راقية التلحين ثم لوموها بعد ذلك إذا ما هي قصرت في التمرن الوافي على غنائها بالإتقان الفني المطلوب. أما والأغاني التي تُعرض عليها عادية، وهي مقيدة بأنغامها، فلا وجه للومها إذا هي اضطرت إلى مراعاة تلك القيود ... وإذا كانت الروايات الغنائية المصرية لا تعمر طويلاً فلوموا الملحن قبل لوم المؤلف الأمين المجتهد، وقبل لوم المغنية والمغني، ما دام ما ينتجه منه لا يصلح للحياة، بينما المنتجات الأوروبية الراقية تعيش خالدة، وتسمع في دور التمثيل كما تسمع في القصور والمنازل، وفي الأندية والحفلات والمشارب، وفي جميع الحواضر المتمدنة بلا تمييز بين قطر وقطر وبين أمة وأخرى.

فاليوم الذي يُتقن فيه تلحين الأوبرا في مصر لهو فتح جديد لثقافتنا الأدبية لأنه سيزيد نشاط الشعر العصري الجديد، كما أنه سيخرج لنا بدائع فنية جديدة بالذيق القومي، وربما استحق بعضها الذيق العالمي أيضاً، فيكون بمثابة دعاية صالحة للثقافة المصرية تكسبنا تقدير واحترام الشعوب الراقية.

أحمد زكي أبو شادي

موضوع القصة

تلخيص عن «ألف ليلة وليلة»

كان بمدينة (شيراز) ملك عظيم يسمى (السيف الأعظم شاه) وكان قد كبر سنه ولم يزرُق ولدًا، ثم خدمه الحظ أخيرًا ورزق وليًا لعهدِه فسماه (أردشير)، وكان جميل الطلعة فهذبِه والده وعلمه إلى أن شب وترعرع، وكان قبلة آماله ورعايته. وكان بالعراق ملك يسمى (الملك عبد القادر)، وكانت لهذا الملك بنت جميلة تسمى (حياة النفوس)، وكانت تبغض الرجال وترفض الزواج، وقد خطبها من أبيها الملوك الأكاسرة دون نجاح، وكانت تهدد والدها بالانتحار إذا ما اضطرها إلى الزواج.

فسمع ابن الملك (أردشير) بذكرها فتعلق بها، ثم ازداد كلفه فأعلم والده بذلك، فنظر إلى حاله ورقَّ له وصار يكرر له وعده بالزواج منها، ثم أرسل وزيره إلى أبيها ليخطبها فأبى، فلما رجع الوزير من عند الملك (عبد القادر) وأخبره بما اتفق له معه وأعلمه بعدم قضاء حاجته شقَّ ذلك على الملك (السيف الأعظم شاه) واغتاض غيظًا شديدًا، وكاد يعقد نيته على غزو بلاد الملك (عبد القادر) وتخريبها، وقال: هل مثلي يرسل إلى أحد من الملوك في حاجة فلا يقضيها له؟! ثم أمر بالاستعداد العظيم لمحاربتِه، فلما بلغ ولده (أردشير) هذا النبأ الخطير قال لأبيه الملك: «أيها الملك الأعظم لا تكلف نفسك بشيء من هذا وتجرد هؤلاء الأبطال والعسكر وتنفق مالك فإنك أقوى منه، ومتى جردت عليه هذا العسكر الذي معك أخربت دياره وبلاده، وقتلت رجاله وأبطاله، ونهبت أمواله ويقتل هو أيضًا، فيبلغ ابنته ما يقع لأبيها وملكه من جرائمها فنقتل نفسها، وحينئذ أموت أنا أيضًا بسببها، إذ لن أعيش بعدها أبدًا.» فقال له الملك والده: «فما يكون رأيك

يا ولدي؟» قال له: «أنا أتوجه في حاجتي بنفسي، وألبس لبس التجار، وأتحايل للوصول إليها، وأنظر كيف يكون قضاء حاجتي منها.» فقال أبوه: «هل صممت على اختيار هذا الرأي؟» فقال له: «نعم يا والدي!» فدعا الملك بالوزير وقال له: «سافر مع ولدي وثمرة فؤادي، وساعده على مقاصده، واحتفظ عليه، ودبره برأيك الرشيد، فإنك معه عوضاً عني.» فقال الوزير: «سمعاً وطاعة!»

ثم إن الملك والملكة أعطيا الأمير فوق حاجته من الذهب وأعطياه أيضاً جواهر وفصوصاً ومصاعاً ومتاعاً وذخائر وقلائد وملابس وتحفاً، وجميع ما كان مدخراً من عهد الملوك السالفين مما لا تعادله أموال، ثم أخذ معه من ممالিকে وغلمانه ودوابه جميع ما يحتاج إليه في الطريق وغيره، وتزيماً بزى التجار هو والوزير ومن معهما، وودع والديه وأهله وقرباته وساروا يقطعون القفار آناء الليل والنهار إلى أن بلغوا (المدينة البيضاء)، وهناك توطنوا ثم استأجر الأمير بمشورة الوزير دكاناً فخماً في سوق البزازين ونقلاً إليه البضائع والتحف، وأقام فيه الأمير (أردشير) وغلمانه كتاجر ومساعديه، فكان يلفت الأنظار الكثيرة إليه لبهاء طلعتة، وكانت الناس تتسامع به وبحسنه فيأتون إليه لغير حاجة ويحضرون السوق حتى ينظروا إلى حسنه ويتمتعوا بمراه، وكثيراً ما ازدحم السوق براغبى التطلع إليه!

ولم يزل على هذه الحالة مدة إلى أن جاءت في إحدى الأيام سيدة عجوز ذات حشمة وهيبة خلفها جاريتان، وطلبت إليه أن يعرض عليها شيئاً نفيساً فعلم بالتحري منها أنه للأميرة (حياة النفوس) فأراد إهداءه إليها، وقدم لها حلة نفيسة تساوي عشرة آلاف دينار، فتعجبت العجوز وحاولت معرفة سره، وأخيراً بعد المعاهدة على الكتمان حدثها بحديثه كله، فعطفت عليه وإن رأت أمنيته شبه مستحيلة، ووعده بالمساعدة على أية حال.

وقد بدأت مساعدته بنقل كتاب حب منه إلى الأميرة «حياة النفوس» مع هديته وأدعت للأميرة أنها لا تعرف ما تضمنه الكتاب فاستاءت الأميرة عند الاطلاع عليه، فأشارت عليها مربيتها العجوز بالرد عليه توبيخاً، وهكذا أبقت صلة المراسلة بينهما زمناً. وأخيراً فطنت الأميرة إلى حيلتها فأمرت بطردها بعد ضربها ضرباً مبرحاً، ونقلتها إلى منزلها، فلما شفيت من إصابتها ذهبت لزيارة الأمير (أردشير) وأخبرته بما وقع لها، فتذكر جداً وقال: «والله عسر علي ما جرى لك. لكن يا أمي ما سبب كون الأميرة تبغض الرجال؟!» فقالت: «يا ولدي اعلم أن لها بستاناً مليحاً ما على وجه الأرض أحسن منه،

فاتفق أنها كانت نائمة فيه ذات ليلة من الليالي، فبينما هي في لذيذ النوم إذ رأت في المنام أنها نزلت في البستان فرأت صيادًا قد نصب شركًا ونثر حوله قمحًا وقعد على بعد منه ينظر ما يقع فيه من الصيد. فلم يكن إلا مقدار ساعة وقد اجتمعت الطيور لتلتقط القمح، فوقع طير ذكر في الشرك وصار يتخبط فيه، فنفرت الطيور عنه وأنتاه من جملتها، ولكن أنتاه لم تغب عنه غير فترة ثم عادت وتقدمت إلى الشرك، وما زالت تقرضه بمنقارها حتى خلصت طيرها، كل هذا والصيد قاعد ينعس! فلما أفاق نظر إلى الشَّرك فرأه قد انفسد ... فأصلحه وجدّد نثر القمح وقعد على بُعد من الشرك، فبعد ساعة إذا بالطيور قد اجتمعت عليه ومن جملتها الأنثى والذكر، فتقدمت الطيور لتلتقط الحَب، وإذا بالأنثى قد وقعت في الشرك وصارت تختبط فيه، فطار الحمام جميعه عنها وطيرها الذي خلصته من جملة الطيور ولم يعد إليها! وكان الصياد غلب عليه النوم ولم يفتق إلا بعد مدة مديدة، فلما أفاق من نومه وجد أنثى الطير في الشرك ... فقام وتقدم إليها وخلص رجليها من الشرك ثم ذبحها ... فانتهبت بنت الملك وهي مرعوبة، وقالت: هكذا تفعل الرجال مع النساء! فالمرأة تشفق على الرجل وتضحى بروحها لأجله وهو في المشقة، وبعد ذلك إذا قضى عليها المولى ووقعت في مشقة فإنه يفوتها ولا يخلصها ويضيع ما فعلته معه من المعروف ... فلعن الله من يثق بالرجال، فإنهم ينكرون المعروف الذي تفعله معهم النساء! ثم إنها أبغضت الرجال من ذلك اليوم».

فقال ابن الملك للعجوز: «يا أمي! أما تخرج إلى الطريق أبدًا؟» قالت: «لا يا ولدي! إلا أن لها بستانًا، وهو متنزه من أحسن متنزهات الزمان، وفي كل عام عند نضوج الأثمار فيه تنزل إليه وتستعرضه يومًا واحدًا ولا تبيت إلا في قصرها، وما تنزل إلى البستان إلا من باب السر وهو واصل إلى البستان. وأنا أريد أن أعلمك شيئًا، وإن شاء الله يكون فيه صلاح لك، فاعلم أنه بقي إلى أوان الثمر شهر ثم تنزل الأميرة إلى البستان، فمن يومنا هذا أوصيك بأن تذهب إلى خولي ذلك البستان وتجتهد في اكتساب مودته وصداقته، فإنه ما يدع أحدًا من خلق الله تعالى يدخل هذا البستان لكونه متصلًا بقصر بنت الملك، وسأعلمك قبل نزولها بيومين فتذهب أنت على جاري عادتك وتدخل البستان وتتحايل لتبيت فيه، فإذا نزلت بنت الملك تكون أنت مختفيًا في بعض الأماكن فإذا رأيتها فأخرج لها، وهي لا بد مفتتنة بجمالك!»

ثم عرفته العجوز مكان بيتها وعرفها مكان منزله، وأخذ الأمير (أردشير) بمشورة وزير والده ومساعدة ماله يتوود إلى البستاني (باعتباره ابن الوزير وباعتبارهما غريبين

عن المدينة ولا يعرفان شيئاً عن البستان وأصحابه، وإنما يحبان الخلوة والطبيعة)، وكان البستاني شيخاً هرمًا. وأخيرًا أشار الوزير بإصلاح القصر العتيق المقام داخل البستان من مالهما ليكون ذلك مدعاة إلى بر أصحابه به، فشكر لهما هذه المروءة والإنسانية وأحضر البنائين والمبيضين والدهانين لإصلاحه، وأوحى الوزير إلى الأخيرين برسم صورة حلم الأمير كما علمه من (أردشير) نقلًا عن مربيته العجوز، مع إضافة تصوير الطير الذُكر (الذي لم يعد لتخليص أنثاه) مختطفًا في مخالب جارح حيث ذبحه وشرب دمه وأكل لحمه، وأوصاهم بحسن الدهان والتزييق.

وأما عن الأميرة (حياة النفوس) فقد اعتادت أن تستصحبها مربيته على الأخص في مشاهدة البستان عند أوان الفاكهة، فلما وافتها أنواع من الفاكهة الجديدة وتاقت إلى النزول إلى البستان تذكرت مربيته، فوبخها ضميرها على إساءتها إليها، وبعثت في طلبها لتصافيهما ثانيًا، وأخيرًا اصطاحتا. ثم أن أوان نزول الأميرة إلى البستان فأخبرت العجوز الأمير (أردشير) بذلك مقدمًا، وتحايل هو بماله على صرف البستاني في ذلك اليوم.

ولما دخلت الأميرة (حياة النفوس) ومربيته إلى القصر (الذي أصلح) أثناء التنزه في البستان حيث شاهدت تصوير الحلم دهشت الأميرة أيما دهشة، وتطرقت العجوز من التعليق على ختام الحلم إلى مدح شهامة الذكور وتضحياتهم في سبيل إناثهم بما أدى إلى نفي بغض الأميرة للرجال! وسُرّت بإصلاح القصر فأمرت بمكافأة ألفي دينار للبستاني، ثم استدرجتها مربيته العجوز وحدها للتنزه في بقية البستان إلى أن جمعتها بالأمير (أردشير) الذي اتفقت قبلاً معه على الظهور من مخبئه عندما تقول: «يا حنينًا بلطفه» إلخ. فتوثقت المحبة بينهما على الفور! وخشيت العجوز من الافتضاح فأدخلتهما القصر وقعدت على بابها، وقالت للجواري عند ظهورهن: اغتنمن الرياضة والتنزه فإن الأميرة (حياة النفوس) نائمة! وهكذا تمكنا من تبادل كنوس الهوى حتى قبيل الغروب ثم افترقا على وعد التلاقي! وهكذا اشتعلت نار الغرام في قلوبهما، وبمساعدة المربية العجوز ومشورتها تمكن الأمير (أردشير) من التسلل إلى القصر الملكي متخفيًا بزي امرأة، حتى بلغ مقصورة الأميرة التي عرفته بمجرد أن كشفت عن وجهه، فضمته إلى صدرها وفرحت بلقائه، وحرصت على بقاءه فاستبقته لديها! ولكن أمرهما اكتشف في ليلة طاب لهما الشراب طويلاً فلم يهجعا ولم يناما، اكتشفهما الخادم كافور (وكانت قد أساءت إليه) وهي راقدة في حضن الأمير، فأبلغ والدها بعد وضع الحراس عليها، فاستشار والدها الملكُ وزيره فأشار بقتلها جزاء فجورهما ... الموهوم، وهكذا دُفعا

إلى الجلابد بأمر الملك (عبد القادر) الذي طلب أن لا يستشار ثانيًا في أمرهما! فجرهما الجلابد إلى النطع، ثم أثر تأخير قتل الأميرة رجاء أن يصفح والدها الملك عنها. وبينما يتأهب الجلابد لقتل الأمير إذا بوفود الجند الشيرازي وعلى رأسه الملك العظيم (السيف الأعظم شاه) قد ظهرت بوادره بامتلاء الفضاء بالغبار ... فيحجم السياف عن تنفيذ حكم القتل، ويبلغ الملك عبد القادر بعد التحري أن من حكم بقتله إنما هو أمير حقيقي وأن هذا والده الملك العظيم وقد أتى باحثًا عنه بعد أن استبطأ عودته، فيحمد الله على نجاته من القتل، وتتصافى القلوب وينتهي الأمر بخطوبة الأميرة (حياة النفوس) — بعد أن تحقق والدها من طهارتها وعفتها — إلى الأمير (أردشير) برضاء الملكين وسرورهما، وتُقدَّم إليهما أنفس الهدايا ثم تسافر مع خطيبها وحميها الملك الأعظم ووزيره وجنده في أبهة وسعادة لا تُحَدُّ، عائدة معهم إلى مقر ملكهم الكبير، تحفها جواربها وخدمها ومظاهر البذخ والملك الفخم.

أشخاص القصة

السيف الأعظم شاه: ملك شيراز الكبير.

الأمير أردشير: وليُّ عهده.

وزير السيف الأعظم شاه.

الملك عبد القادر: ملك المدينة البيضاء أو بغداد.

الأميرة حياة النفوس: ابنته.

وزير الملك عبد القادر.

مربية الأميرة.

الخدم كافور.

الجلاد.

تجار، جمهور، جند وحراس، وصيفات، راقصات، جوارى، وخدم.

نسق التمثيل

وتصرف الشاعر في الوضع هو التصرف التأليفي الفني لضمانة التأثير ولعرض الحوادث الكثيرة في الحدود المسرحية المعقولة.

(١) الفصل الأول

قصر الملك السيف الأعظم شاه.

(٢) الفصل الثاني

المنظر الأول: سوق البزازين بالمدينة البيضاء.
(يبقى معظم النور مطفاً وتنزل الستار لفترة دقيقة إعداداً للمنظر الثاني).
المنظر الثاني: بستان الأميرة والقصر المجدد.

(٣) الفصل الثالث

المنظر الأول: مقصورة الأميرة.
(فترة دقيقتين بين المنظر والآخر).
المنظر الثاني: مقصورة الملك عبد القادر.

(٤) الفصل الرابع

(فترة دقيقتين بين كل منظر وتاليه.)

المنظر الأول: ساحة الجلاء.

المنظر الثاني: معسكر السيف الأعظم شاه وجنده على أبواب بغداد.

المنظر الثالث: قصر الملك عبد القادر.

تمثيل القصة

الفصل الأول

(قصر الملك السيف الأعظم شاه في شيراز: منظر الإيوان والعرش، وقد انتظم كبار الحاشية سيدات ورجالاً ملتفتين بعض الالتفات إلى مدخل الإيوان لاستقبال الملك والملكة وولي العهد والوزير عن جانبي العرش.)

حاشية القصر (تغني نشيد الاستقبال):

الجلال والسيادة للملوك * الأكابر
والجمال والعبادة لا الشكوك * للأزهر

* * *

يا مليكاً مستعزاً ساد من حب الرعيه
عش لشعبك! عش لشعبك!
لن ينال الملك عزاً ومكاناً في البريه
دون حبك! دون حبك!

* * *

الجلال والسيادة للملوك * الأكابر
والجمال والعبادة لا الشكوك * للأزهر

* * *

جنة الأرواح أنتِ أنت يا خير مليكه

أردشير وحياة النفوس

فِي الزَّمَنِ!
عشتَ لِلدُّنْيَا وَعِشْتَ رَبَّةً دُونَ شَرِيكَهُ
لِلْمِنَنِ!

* * *

الْجَلالِ وَالسِّيادَةِ لِلْمَلوكِ * الْأَكابِرِ
وَالْجَمالِ وَالْعِبادَةِ لَا الشُّكوكِ * لِلأَزْهَرِ

* * *

يا وِليَ العَهدِ أَهلاً بِالْعَلى فِيكِ وَسَهلاً
بِالْأَميرِ (أردشير!)
أنتَ آمالِ المَعالي أنتَ عَنوانِ الكَمالِ
يا مَنى الشَّعبِ الكَبيرِ!

(يدخل الملك ويجواره الملكة ويمشيان ببطء، وقد حمل ثلاثة من الحاشية ذيل طيلسانه كما حمل وصائف الملكة الثلاث ذيل طيلسانها، ثم يتبعهما ولي العهد الأمير أردشير ثم الوزير العائد من السفر بعد المفاوضة في خطوبة حياة النفوس بينما الحاشية تتم النشيد. ويتوجه الملك والملكة إلى كرسي العرش بينما يقف ولي العهد والوزير مواجهين لهما.)

الْجَلالِ وَالسِّيادَةِ لِلْمَلوكِ * الْأَكابِرِ
وَالْجَمالِ وَالْعِبادَةِ لَا الشُّكوكِ * لِلأَزْهَرِ
هَذِهِ أُنوارِ عَرشِ دائِمِ الإِشراقِ باقِ
لِلْفَخارِ!

صانِهِ مَن قَبْلِ جِيشِ حَبِ شَعبِ فِى ائْتِلاقِ
وازْدَهْـمَـا!

* * *

الْجَلالِ وَالسِّيادَةِ لِلْمَلوكِ * الْأَكابِرِ

الفصل الأول

والجمال والعبادة لا الشكوك * للأزاهر

الملك السيف الأعظم شاه (غاضباً):

كيف هذا يا وزيرى؟ كيف هذا؟ كيف هذا؟
إنني الشاه الأجل!

الوزير (مهدتاً):

عُدْرُهُ مَوْلَايَ فِي الرَّ
فَهِيَ لَا تَرْضَى زَوَاجًا
فِضِ اعْتِدَارٍ مِنْ فَتَاتِهِ
مِنْ مَلِيكِ أَوْ أَمِيرِ

الملك (مستمراً في غضبه):

كيف لا يرضى طلابي صاحب الملك الصغير
وطلابي مجده؟!
لست من يرضى الإهانه لست من يرضى الإهانه
سوف أجزيه السعير!

ولي العهد الأمير أردشير:

مولاى جلمك

الوزير (مهدتاً):

صَفْحًا
خَيْرَ لَنَا بَدَلَ جَهْدِ
مَوْلَايَ أَنْتَ الْعَظِيمِ
أَوْفَى وَسَعِي حَكِيمِ
لَيْسَ الْعِقَابُ نَجَاحًا
كَمْ مِنْ قَوِيٍّ غَرِيمِ!

الملك (عاتبًا متشدّدًا):

يا وزيرى كيف ترضى لي هوانًا؟ كيف ترضى؟
منزلى الشمس وقدرى لن يدانى الدهر أرضًا!

الوزير (مستعطفًا):

سيدي عفواً وحلمًا

الملك (منذّرًا):

سوف أزجي الجند حتى يهدموا البلدان هدمًا
ويذيقوه الوبال!
أيردُ الغر سؤلي وهو تشرىف وأسمى
ما تمناه الرجال؟!
ليس ابني (أردشيرُ) غير تاجي ... حين هماً
كان نجمًا للجلال!
بنته مهما تعالت لا تدانينا فمهما
حاولتُ تبغي المحال!

الأمير أردشير (مهدئًا):

سيدي! والدي! مليكي! حكيمي!
إذْكَ الآنْ ثمْ حُكْمك فيما لي بيان ولي رجاء البصير
أرتجي حُكم سيد مستنير

الملك:

قل ما بدا لك لكن لا تطمعن بصفحي
وكيف تطلب عذرًا له وجرحك جرحي؟!

الملكة (مستعطفة):

بالله دعه يفدنا
أنت الحكيم ولكن
وربما صاغ رأياً
عن رأيه يا ملك
من حقه أن يليك
تراه قد يكفيك

الملك:

قل (أردشير)
كن كالمشير
قولاً صواباً
يدعو مجاباً

الأمير أردشير:

مولاي ما أبغي رضى عن جنى
ثم الذي قد عنَّ لي خيراً لنا
لكني أروي اعتذاراً معلناً
حتى نرى ما يرتجى أو يُجتنى

الملك (راضياً):

قل (أردشير)!

الملكة (متوسمة خيراً):

قل (أردشير)!

الحاشية:

باسم الملك باسم المليك
أنت الأمير!
قل ما بدا لك!

الأمير أردشير (متشجعاً في المشورة):

مولاي! هل عاداك (عبدُ القادر)؟
ففتأته تعصي لداع قاهر
تأبى الزواج كأنه موت لها
لكنه خوف تملك عقلها
فإذا بعثت له بجيش فاتح
وذبحت شيعته كبعض ذبائح
الانتحار لها علاج بيّن
فتموت ثم أموت، ذاك تديّن
كلا! ولكن رام عذر العاذر
الخاطبين لها وإن فاضوا غنى!
لا حيلة منها وليس تألها
خوف الرجال ولو ملوكاً في السنّى
وهدمت ملكاً بانتقام فاضح
فلقد تفوز وما تنال سوى العنا!
إن حُرّب المُلْك الذي هو هين
للعاشق الوافي إذا فقد المُنَى!

الحاشية (في تأثر):

لا تجزعن! لا تجزعن! أنت الأمير! أنت الأمير!

الملكة (متلهفة):

يا حياتي لا تخف!

الملك:

قل ما بدا لك لا تخف! ماذا ترى؟ ماذا ترى؟

الأمير أردشير:

أما أنا فأرى النجا
ما عاب قدرك إن حلم
فمشورتي سيرني إلى
في زِيٍّ فردي تاجر
وهناك أبحث عن طريق
ح لدى التحايل لا الحسام
ت وإن عطفت على غرامي
بلد به نجوى هيامي
متنكراً بين الكرام
قني للسعادة والسلام

حتى أفوز بقربها وأنال محسودًا مرامي!

الملكة (قلقة):

أنا لا أجيئُ لك الرحيـ ل مغرَّبًا دون النصير!

الحاشية:

يا ولي العهد لا نرضى لك البعد الطويل
كلا ولا هذا الخطر!

الملك (في لهجة المرتاح إلى شجاعة الأمير):

إن تكن أزمعتَ حقًا أن تسيرو نازحًا حيث الأمانى وهوَأك
لترى ما يمنح العقلُ البصيرُ من حلول بعد هذا الارتباك
فلقد أظهرتَ لي نفسَ الكبيرِ الشجاع الحرَّ لا يخشى الهلاك
إنما يأبى سكونًا كالردي
يبذل الروح لمن يهوى فدى

(ملتفتًا إلى ولي العهد وإلى الوزير معًا):

إنما أدعو وزيرى لاصطحابك كدليل وسمير وخليـ
حافظًا للسر أثناء اغتراك ملهمًا إياك إن شق السبيل
يا وزيرى هَيِّئِ الزاد كدأبك جامعًا كل نفيس وجليـ
وأمر الغلمان كي يأتوا غدا
واختر الأصلح منهم عددًا
وابذل الجهد وكن مثل كفيل كفلًا
ثابت العزم، سعى سعى الضمين الأملاً!

الوزير:

سبدي أمرُك المطاع وإنِّي
سأؤدِّي أمانتي في خلوص
لكفيل بواجبي رغم بيني
من وفاء، فلن يُغَيَّب عني

الأمير أردشير:

إنِّي لحبكما الشكور الوافي
ومليكتي أُمِّي التي لحنانها
أبتي الأجل مثابة الإنصاف
تقدِّيس وجداني نعيم كاف

الملك:

ولدي أنت كل ملكي فحاذر!
كن شجاعاً، وإنما كن حكيماً
أنت قلبي وأنت روحٌ وخاطر!
فالشجاع الحكيم يرقى المخاطر!

الملكة:

هيا وصيفاتي^١ إلى
من كل فاتنة الحُلِيِّ
ومن الجواهر والقلائد
وارجعن لي مستعرضا
هذي بُنَيَّ هديتي
مقصورتني حيث الغوالي
وكل نادرة اللالكي
والذخائر والحوالي
ت للنفاسة والجمال
لك — إن رضيت — بلا سؤال!

(تخرج الوصائف الثلاث — بعد أداء تحايا الخضوع — لإحضار نفائس الملكة
المهداة إلى ولي العهد.)

^١ وصيفات: جمع قياسي بمعنى وصائف.

الأمير أردشير:

يا مليكي! يا ملاكي! أنتما تاجي وكنزي
زدتما بزاً وحباً زادني مَحْسُودَ عَزِّ
سوف أمضي مستمداً منكما والحب فوزي
والهدايا كالتحايا مَثَلْتُ للحسن رمزي!

(تدخل إحدى وصائف الملكة ومعها جارية حسناء في ثياب راقصة حاملة عقوداً وجواهر على وسادة مذهبة ومزركشة).

الوصيفة الأولى (بعد إبداء تحايا الخضوع):

هذي الجواهر ... إنها نُحِبُّ الحُلَى ... مولاتي!
من كل فص باسم بالسحر والآيات!
من كل عقد هائم بالحسن واللذات!
من كل قرط راقص للشمس والجنات!
من زَيْن أسورة^٢ زهت من فتنة النظرات!
ومنوع الأحجار في ألوانها النضرات!
بثت معاني الحب في متألق الذرات!

الملكة (بعد أن تتأمل الوسادة وما عليها حيث تضعها الجارية الحسنة أمامها):

أحسنيتِ جداً يا (هُدَى) فيما انتخبتي من الهدايا
ولعلها ترضي الأمير، كذا الوزير، ولو رضيا

^٢ جمع سوار.

الأمير أردشير (في غبطة القرير):

ما اخترت معشوق لكل عظيم
تُحَفُّ كهذي قد تُتَيَّم من أبي
عُدَّت (حياة النفوس) فما لها
فتقبلي شكري قبول حميم
للحب سلطاناً وكان خصيمي
تقسو وترضى أن تكون غريمي؟!

الوزير (في ارتياح الموثوق به):

هبة المليكة والمليد
هي عالمٌ جمع الكوا
نُحِبُّ الجواهر هذه
وأجلُّ ظني أنها
ك تَجَلُّ عن إطرائي
كب فيه كالجوزاء
فتنت نجوم سماء
ستكون رُسل رجائي!

الملك:

له فَأَلَك يا وزير
وسألتها ثم ابتعد
الله يكفل بعد سعد
والآن حيي يا (سعا
أمل (الأمير) وأسعدي
ر فقد نظرت إلى الأمانى
ت لها شهيآت المعاني
يك كل داع للتهاني
دُ برقصة بين الأغاني
نا والمثلث والمثاني!

الحاشية (ترقص سعاد رقص خطو جانبي أو جري على هذا النغم الذي تنشده

الحاشية):

حازر حازر حازر حازر
وابذل جهداً يُثمر عذباً
لا تنهني، لا تهجرني، دون مساع!
أنت الجاني، إن لم تسع في إقناعي!
رمي سهاممي!
حُلو غراممي!

(ثم يكرر غناء هذه القطعة والرقص على موسيقاها وفي ختامها تدخل الوصيفة الثانية ومعها الجارية الثانية الحسنة حاملة وسادة عليها أنسجة ثمينة مرصعة بالجواهر ومزركشة.)

الوصيفة الثانية:

ذاك من بعض الذي عايَّنته من نسيج
جامع ما عُرِّزَتْ آياته من بهيج
كله سحر له راياته والأريج
للذي يغزو فؤادًا لا ينال
للذي نادى جمالًا في دلال!

الملكة (بعد استعراض نماذج النسيج المزركش ووضعه أمامها مخاطبة الوصيفة):

أنت مثل الجوهريّة كله خير هديه
سوف لا أبقى لنفسي تحفة منه سنيه

الأمير أردشير (مخاطبًا الملكة):

ما سخاء غير هذا أنتِ نفسُ كوكبيه
زانها الله فأحيت بالعطايا الذهبية!

الملكة (مخاطبة الجارية الثانية التي كانت حاملة الوسادة والنسيج):

أمتعيننا يا (زكَّيَّه) بين ألحان شجيه
بالذي توحين رقصًا من معاني الأبدية
ورجاء لولي العهد معشوق الرعية!

الحاشية (تغني هذه القطعة بينما ترقص الجارية زكية على نغماتها مكررة):

طبع الجمال العناد	إلا لصابر
يعنو لحذق الجلاذ	لا طوع زاجر
دأب الغرام	أن يكره الصبرا
لكنه الأبقى * في الحظ	لا الأشقى * لو دام
دون مــــلام	في أسره حُراً!

الوصيفة الثالثة (تدخل الوصيفة الثالثة في ختام الغناء والرقص ومعها الجارية الحسنة الثالثة حاملة على وسادة مزركشة نخباً من تحف أثرية):

هذي نفائس لها	مجد بأحقاب مضت
تحكي لنا أسرارها	مما رأت أو ما وعت
من حظها أو مجدها	أو عمرها أن قد بدت
أهلاً لإهداء المليد	كفة للأمير فأمّعت!

الملكة:

جميلة جميلة	جديرة (بأردشير)
حريّة بزينة	لدولة الحسن النضير

الأمير أردشير:

أسبغت مولاتي علي	وجزت مدح المادحين
وأبي المليك حنى علي	بكل إشفاق ثمين
أنقذتما قلبي المع	حنى بالحنو من الحنين
ديني ثقيل لن يرد	وبر روعي أي دين
الله أسأل أن يوف	قني لما يوحى اليقين
فأعود في عرس السعا	دة مثل عود الفاتحين!

الملكة:

هيا ارقصي يا (ساحره) رقص الأمانى الزاهره
حَيِّى الأمير وزوْدِيـه من المعانى الآسره

الحاشية (تغني هذه الأنشودة مكررة بينما ترقص على نغماتها الراقصة الثالثة
ساحرة):

لولا الهوى ما اعتلى مُلْكُ ولا سلطان
يبني المنى والورى يزهى على التيجان
ما عابه من درى ما الكون والإنسان!

الملك (وهو يهيم بالوقوف مع الملكة تهيؤاً لنزولهما إلى باحة الإيوان من العرش):

والآن فَلَنْتُلُ الدعا ء المستطاب جميعنا
لمنى الأمير
قبل الرحيل على المشقة ءة حيث تزجيه المنى
وكذا الوزير

الحاشية (في انتظام بشكل نصف دائرة حول الملك والملكة والأمير والوزير
والراقصات الثلاث يرقصن في مقدمة المسرح):

أمتعينا يا بلابل * رنحينا يا مثناني * رَدْدِي يا طيور
خـيـر آمـال الـوداع
واقبلي منا وعوداً * لعظيمات التهاني * في بيوت وقصور
فوق حد المـسـتـطاع
عند عَوْدٍ (بحياة * للنفوس) والأمانى * ونعيم وحُبُور
بـعـد ذاك الامـتـنـاع

(يبدأ بإنزال الستار تدريجياً قبيل ختام النشيد).

الفصل الثاني

المنظر الأول

سوق البزازين بالمدينة البيضاء

(تمثل الستارة الخلفية منظر سوق وفي جانب المسرح يظهر جزء من الدكان الذي استأجره الأمير أردشير وجانب من بضائعه مرصوفة فيه وثلاثة من غلمانه، ويراعى أن يكون ترتيب هذه الأشياء على رف مدرج يسهل رفعه بسرعة في نهاية المنظر الأول عند الاستعداد العاجل لعرض المنظر الثاني).

أحد الغلمان (سليم):

بالله قل لي يا (نسيم) وقد مضت
ما يرتجي المولى (الأمير)؟ فما أرى
لهربما لو جاء حرًا وحده
هذي الأسابيع الطوال علينا!
(لوزيرنا) رأيًا يخفف بينا!
لأنيل من يهوى ورق إلينا!

الغلام الثاني (نسيم):

لا يا (سليم) فما (الأمير)
والعرف يقضي باصطحا
رُ بفائز دون (الوزير)
بهما على الأمر العسير

لولا التعاون ما ارتقى
لا تنس أنا في بلا
جلم^١ على الحدّث الخطير
د للخصومة لا النصير

الغلام الثالث (يوسف):

عندي حديث كله
إن شئتُما فلسوف أر
عجب من الخبر اليقين
ويه بإخلاص الأمين

سليم ونسيم:

قل ما لديك معجلاً
فلربما عاد الأمير

يوسف:

مهلاً خليلي مهلاً
هل تعلمان بحق
إن الحديث شجون
مَن العجوز الصديقه؟

سليم ونسيم:

كلا!

يوسف:

إذن فاسمعاني
إن قلت موضع سر^٢
فإن وصفي فنون!
فما عدوتُ الحقيقه

^١ حلم: عقل.

^٢ أي: العجوز.

سليم ونسيم:

من يا تُرى؟

يوسف:

هذي وربكما وحق — كما مربية الأميره!

سليم ونسيم (في تعجب):

حقاً مربية الأميره!

يوسف (ينشد هذه الأبيات وصاحبه في انتباه إلى معانيها وتعجب في مواضع ذلك):

أعطى الأميرُ لها النَّضَا	رَ وَأَنْفَسَ الحُلَّ النُّضِيرَه!
ما بين إهداء إليـ	ها وهدايا لفتاته
ما بين نقل للرسا	ئل وهي تقسو لشكاته
وإذا العجوز مُجِدَّةٌ	بتحایل تُبقي التخاطب
لكن أبقى خُلُقَ الأميرِ	رّة أن يطول بها التلاعِب
غضبتُ عليها فأذا	قتها عذاباً ثم طَرَدَا
مرضتُ فجاءت للأميرِ	ر تبثُّه سُخْطاً ووجدَا

سليم ونسيم:

مسكينة مسكينه!

يوسف:

والآن ولى الشهر
عرفت مكان مبيته
وأرى الأمير كأنما
لكنني لم أستطع
بعد غيابها، لكنها
وكذاك عُرِفَ بيتها
يزهو رضى وتفاؤلاً
— وأنا الصغير — تساؤلاً

سليم:

سمعاً إذن يا صاحبا
يَ وإن جهلتُ كثيرًا

نسليم ويوسف:

ماذا لديك؟

سليم:

إني علمتُ السرَّ في
وسمعتُ أقوال العجـ
لكنني أثرت دفـ
وكذاك لم أفطن إلى الـ
ما كنت أدري أنها
بُغض الأميرة للرجال
وز كأنها حُلم الخيال
عًا لأذى قيلٍ وقال
مَمَغزى ولا للاحتمال
في القصر سيده الموالي

نسليم ويوسف:

ما سرُّها؟

سليم:

سأل الأمير لِمَ القلبي
ولِمَ التجنب للحبيب؟

فإذا العجوز تُعلل الـ
 قالت: رأْتُ بنتُ المـ
 الصائدِ الوسنانَ ينصـ
 فأتت^٣ لتلتقط الحبو
 دَكَّرُ من الطير اغتدى
 لكنَّ أنثاه أبت
 وتمكنت بعد الكفا
 حتى إذا ما عاد صا
 بذل التفنُّنَ كي يُقوِّم
 وأعادَه في حاله
 ثم ارتضى نوم الهني
 فإذا الطيور تعود تـ
 إلا التي قد خلَّصت
 فإذا به قد فاتها
 وأبى الرجوع لكي يخلصها
 فلقد أفاق الصائدُ الـ
 فأغاثها لكن لينـ

إعراض بالحلم العجيب
 ك كما يخال النائـ
 ب للطيور الشَّرْكا
 بَ وقد نجت إلا فريدا
 في الفخ منكوبًا وحيدا
 إلا الرجوع إلى خلاصه
 ح فخلَّصته وحوَمًا!
 حبنا النوم ليقظته
 من خيوط الشَّرْكَ
 تدعو الحريص إلى العثار!
 ء على وثوقٍ بالجزاء
 ققط حَبَّه دون الوقوع
 من قبل طائرِها الذَّكَر
 ومضى مع الطير النفور
 فحلَّ بها الحَطر
 وسنانٌ ملتفتًا إليها
 بحها ولم يعطف عليها!

نسيم ويوسف:

يا للقساوهُ! يا للقساوهُ!

سليم:

مرعوبهً منه الأميره
 نة لا الوفاء من الذكور

فاستيقظت من حلمها
 ورأته رمزًا للخيا

^٣ أي: الطيور.

فأبت وثوقًا بالرجا ل كما أبت وحي الزواج

نسيم:

حاذرٌ فها هو قادم!

يوسف:

وأراه يصطحب الوزير!

(يدخل الأمير بعد هنيهة قليلة ومعه الوزير وكلاهما في زي تاجر ويتنحى
الغلمان إلى زاوية من الدكان.)

الأمير أردشير (مخاطبًا الوزير على انفراد في جانب المسرح البعيد عن الدكان):

قد مر شهر طويل	على انتظار اللقاء
فليت شعري أيأتي	غد بطب لدائي؟!
قد نبأتني العجوز الـ	يوم عن كل آت
وطالبت بمبיתי الـ	ليل في البستان
ففي غد سوف تمضي	إليه قرب الأميره
فقد دعته إليها	وعادتا للتصافي
وعندها سوف أحظى	بقربها بل بخلدي!

الوزير:

تشججٌ واسعٌ للأمل القصيِّ
وعندك عُدَّة: عقل ومال
فما أدناه للساعي الوفيِّ
فنلُ بهما حظوظ الألمعيِّ

تحایل واصرف الجنان^٤ والبث
 وكن مستبشراً فالقصر أضحي
 وهذي حكمة منا وجود
 وما هو عارف سرّاً لدينا
 ليرضى عنه أهله فيحظى
 وهذا القصر أضحي خيرَ وإف
 ففيه الحلم منقوش مضافاً
 كما شاهدت في إعجاز رسم
 كأن نقوشه سحر ولكن
 فهيا يا بُنيّ الآن هيا
 إلى الغد في شذى الزهر النديّ
 مثال الرونق الفدّ البهيّ
 لنفع الحارس العاني الشقيّ
 ويحسب جودنا بزّ الزكيّ
 بجائزة وبالعيش الرضيّ
 يدافع عنك بالرسم الجليّ
 إليه نهاية الطير القصيّ
 يؤثّر في هوى القلب العصيّ
 تجمّل بالهداية من نبيّ
 وأعدّ عُدّة الأنبي الهنيّ

(يبدأن بالمسير فيسمعان غناء عن بُعد يقترب منهما فيقفان للاستماع.)

بنات السوق:

إنّ أشهى ما يُحيينا الجمال فهو روح وغذاء وِدثار
 وضياء يملأ الدنيا سنّي!
 يا جميل الوجه يكفيك الجلال أمتع الأبواب نوراً وازدهار
 وابقَ للتجار والناس غنى!

(تنزل الستار ويبقى معظم النور مطفاً دقيقتين استعداداً للمنظر الثاني
 بينما تعزف الأركسترا أثناء الاستعداد قطعة صغيرة.)

^٤ الجنان: البستاني.

المنظر الثاني

بستان الأميرة والقصر المجدد

(إلى يسار المسرح مشهد بهو القصر المجدد والواضح منه الحائط الجانبي والحائط الخلفي وبعض السقف فقط، وعلى حائطه الخلفي فوق الباب المؤدي إلى البستان تمثيل حلم الأميرة مضافاً إليه ما ابتدعه الوزير من اختطاف جراح للطير الذكر وقتله وامتصاص دمه وأكل لحمه وهذا ما حال دون إنقاذه أثناءه، وإلى جانب حائط البهو مشهد البستان الرائع وأماكن صالحة للاختباء فيه. ويبدأ هذا المنظر الثاني قبيل الفجر ويراعى تدرج النور أثناء تقدم هذا المنظر.)

الأمير أردشير (يغني عن بُعد مختلفاً بين الأشجار والأزهار ثم يلوح بينها ويختفي ثانياً):

أيهذا الفجر كُنْ رمز الوفاء	لفؤاد العاشق الباكي الحزين
طال ليلي وكذا طال الشقاء	فابتسم يا فجر بالنور الأمين
إنني أمشي على خيط الأمل	في اضطراب
قَطْعُهُ يُنْهِي الأمانِي والأجل	وشبابي
وبقائي هكذا رغم الحيل	في عذاب
حالة أقسى مراراً من قضاء	يهدم الأحلام هدمًا للفناء
فابتسم يا فجر برًّا بالرجاء	طالما ناجاك عشق الأتقياء
ابتسم برًّا بطهري وشبابي!	

(يوشك في نهاية الإنشاد أن يتم إشراق الصباح ويختفي الأمير بين أشجار الفاكهة وتدخل بعض جواري الأميرة الحسان من الجانب الأيمن للمسرح حيث أشجار البستان وأزهاره.)

الجواری:

أهلاً بفصل الثمار الفاتن الألباب
المزدهي بالدراري وبالجمال المُجاب
وبالأمانى السريّة!
(حواء) لو شارَكْتُنَا فيه لما أنذرتُنَا
بل أكرمت ما حَبَّتُنَا هذي الجنان ففُتُنَا
ذكرى القديم الجميل!
والآن تأتي (الأميره) ضحيانة مستنيره
تأسو القلوبَ الكسيره تغذو الغصون النضيره
تحيي النسيم العليل!
أهلاً بفصل الثمار الفاتن الألباب
المزدهي بالدراري وبالجمال المجاب
وبالأمانى السريّة!

(تدخل الأميرة ومعها مربيتها من جانب المسرح الممثل للبستان فتستقبلها
الجواري بمظاهر الاحترام.)

الأميرة حياة النفوس:

ما أرقُّ (الطبيعة) ما أحب النسيم
بالحليّ الوديعة والجمال الوسيم
هذه وَحَدَهَا لَدَّتِي في الحياه
ما أرى بعدها نعمةً جنب جاه
حَظُّكُنَّ المُوالي يومنا يا جَواري
سِرَّن سِيرَ اختيال والزمانَ المجاري
ولتدعَنَّ انتظاري حَظُّكُنَّ الجمال
كُلَّن أشهى الثمار في مَراح الدَّلال!

الجواري (قبل انصرافهن):

يا رَبَّةَ الحِسنِ شِكرًا وطاعةً لِمِرادِكُ
هِيهاتِ يَغنمُ ظُفْرًا ذو نعمةٍ بِبِعادِكُ

المربية:

إِذا سَمِحتِ قَليلًا برِقصِةٍ لِلجواري
أَعطِيتِهِنَّ جَزيلًا يَفيوقُ أَغلى النِضارِ
عَشقنَ حُسنِكِ عِشقًا كالنِحلِ والأزهارِ!

الأميرة:

ارِقصنَ يا غانِياتي فالرِّقصُ فَنُّ جَميلِ
كَم مِن مِعانِ الحِياةِ بِهِ، وشِعْرُ نَبيلِ!

الجواري (يرقصن على هذه الأغنية):

الجِمالِ المِعتلي لِلزهورِ * وَالغِصونِ
عُدَّ أنَسَ المِجتلي والشِعورِ * وَالعيونِ
بِينما * ما سِما بَعدَ ما * زُرَّتِه
كُلُّ ما * أنِعمًا أنتِ قَد * زِدَّتِه
لِلعيونِ * لِلفنونِ!

* * *

نِضرَةُ البِستانِ أنتِ نِضرَةُ مِلاءِ الهِواءِ
والمِياهِ والثِمارِ
مذِ تَجَلِيتِ وَبِنتِ لأَمانِ السِعداءِ
مِن كِبارِ وصِغارِ
مِن نِباتِ وحياهِ وخِريِرِ لِلمِياهِ!

الفصل الثاني

(تخرج الجواربي بعد أداء تحايا الاحترام في نهاية الرقص بينما تكون الأميرة ومربيتها على وشك الدخول إلى بهو القصر من الباب المتصل بالبستان السالف الذكر، وفي القصر من الأثاث الشرقي الملكي الثمين ما يلفت النظر.)

الأميرة (فرحة بتجدد القصر):

حقاً جميل ولكن ما يرتجي البستاني؟

المربية:

لا شك يرجو جزاءً ونعمةً استحسان
ما ضنَّ بالبذل حتى يُرضيك يا مولاتي
وأنتِ ربَّةٌ جودٍ ومطلعُ الخيرات

الأميرة (متعجبة وقد تفهمت الرسوم الممثلة للحلم على الحائط):

فليعطَ من ذهبي جزاء وفائه أَلْفَيْنِ، معتزًّا على نظرائه
مــــاذا أرى؟!

المربية:

ماذا؟

الأميرة (مشيرة بيدها إلى الصور التي على الحائط):

أدقُّ بــــراعــــة للراسم النَّقَّاش في استيحائه
قد مثلَّ الحُلمَ الذي قد راعني لكن أضاف إليه ما قد فاتني
لا شك أني قد ظلمت الطير إذ قد صيد، فهو مُضَرَّجٌ بِدَمَائِهِ
والجارج الباغي يمضُّ دمائه طورًا ويأكله عتياً لا يني
فمضى شهيداً مثل أنتاه وما خان المحبة بل قضى بوفائه

المريية (محاولة التأثير على الأميرة لتنزع منها كره الرجال):

هذا وربّي شاهد	للطائر المسكين
ما كان ينسى إلفه	لولا مماتُ غبين
وكذلك الإنسان لا	ينسى الوفاء لزوجته
ولكّم يُضحّي بالنفيس	س لها لأجل محبّته
ويرى الفخار شهامة	في منتهى إيثاره
الحب نور رجائه	والحب كلُّ شعاره!

الأميرة:

ظلمتُ الطائرَ المسكين	من والإنسانَ من حُلمي
وخيرُ الحكم تجربةٌ	فليس الحُلم كالعلم!
هلمّي الآن كي نحظى	بأنس الروض يا أمي!

المريية:

هلمّ الآن سيدتي	نسير بغير أتباع
ففي الأزهار أُلُف	وداع بعده داع!
وفي الأثمار والأشجا	ر أنواع لإبداع

(تخرج الأميرة وخلفها المريية من الباب المؤدي إلى البستان.)

الأميرة (متأمّلة معجبة بالمناظر):

لله ما هذا الجمال!	صور تُعد من المحال!
الخالق الرحمن ينـ	ثر بينها السحر الحلال!

المربية:

يا خفياً بلطفه نَجْنَا من خوفنا!

(يبدو الأمير عن بعد كما اتفق مع المربية.)

الأمير:

لي غرامٌ لن يُضاهي
يا فؤادي أيُّ ذنب
أنقذيني يا نعيمي
واعطفي كالشمس تأبى
وحبيبٌ لن يُوافي
لهيامي وعفافي؟!
من جحيم ملء يأسٍ
ظلمات حول نفسي!

الأميرة (وقد لمحتة):

أمي! ترى من يكون
تأملني! أي حُسن
هذا الفتى في جماله؟!
يرف ملء اعتداله!

المربية:

هذا ولا شك عندي
التاجر المتخفي
من قد رفضتِ سؤاله

الأميرة (متعجبة):

التاجر المتخفي؟!!

المربية:

نعم! فما هو إلا
المستعز بملك!
ذاك الأمير الكبير

الأميرة:

وما اسمه؟

المربية:

(أردشير)!

الأمير (وقد التفت عند سماع اسمه فالتقى نظره بنظر الأميرة):

يا حياتي ويا (حياة النفوس)!

الأميرة (وقد تسلط عليها الحب لأول نظرة):

يا حبيبي برغم حظ عبوس!

(يقترب إليها الأمير ويمسك بيدها ويقبلها.)

الأمير:

ارحمي الذي عَشِقَا كم أضعته أرقًا!

ارحمي ولا تدعي قلبه على جَزَع!

(ثم ينظر إلى عينيها وتتنظر إليه ماسكين بأيدي بعضهما فيقبلها وتقبله.)

الأميرة:

هكذا الحب نظرة ثم قبله لذة صعبة على القرب سهله!

(يقتربان من باب القصر.)

المربية:

بالله هيا وادخُلاً في القصر أماً من رقيب

الأميرة:

ادخل حبيبي حتى
لقد ظلمتك لكن
أبُتِّكَ الآن حبي
الآن أحمدُ ربِّي!

الأمير:

أعدتِ والله رُوحِي كما ضمدتِ جروحي!

(يدخلان ويجلسان معاً في احتضان وتقبيل بينما تبقى المربية متمشية في
البستان.)

الأميرة:

ثق يا فؤادي بأننا لم نجتمع لفراق!

الأمير:

يا حياتي! يا حياتي!
أنتِ وجَدَانِي فُصُونِي
يا منار النِّيَّرات!
نور وجَدَانِي لَاتِ!

(تبدو الجواري ثانياً في البستان وينشدن.)

الجواري:

يا ربَّه الحسنُ عُدنا ظمأى إليك كأننا
لم ننتعش بجمال!

أردشير وحياة النفوس

الكون زاهٍ ولكن إن غَبِتَ ما فيه فاتن
حتى لأهل الخيال!

المربية:

اغنمن نوم الأميره واقطفنَ أحلى الثمار
بين الغصون النضيره والورد والجُنَّار°

الجواري:

طوعًا! ولو أن أشهى أنس القلوب لديها
رغم المجالي البديعه
نامي (حياة النفوس) في قصرك المحروس
بalfاتنات (الطبيعة)!

(تنزل الستار سريعًا عند إتمام النشيد.)

° زهر الرمان.

الفصل الثالث

المنظر الأول

مقصورة الأميرة

(وفيها - نقشًا على الستارة الخلفية - من مظاهر البذخ الشرقي والنعمة والراحة الشيء الكثير، وكذلك يراعى جمال سرير الأميرة، وهي نائمة على السرير وبجانبها الأمير أردشير وأمامهما كأسان وذن الخمر وأطباق الفاكهة على صينية فوق المائدة. ويراعى وضع السرير إلى جانب المسرح بحيث يتيسر إخراجه بسرعة عند تغيير المنظر. وتوضع سجادة فخمة على أرض الشرفة، بحيث تصلح مع غيرها للمنظر الثاني أيضًا. الوقت ليل والشموع موقدة على شمعدانات الذهب والفضة.)

الأميرة:

لست أَرْضَى يا حبيبي بفراق دون عَوْد

الأمير:

من قال هذا؟ إنني أسعى لخطبة نعمتي
قصدي لقاء أبي لكي يدري عواقب بَعَثْتِي
وإذن يُسَرُّ، وعندها يُزجِي إليك هديتي

ويكون عوني في رجا ء أيبك لي يا مهجتي!

الأميرة:

روحي تذوب إذا جشمتها بَعْدَكَ
أجدى لها عيشة بالوصل آمنة
قلبي الخفوق المُنَاجي لن يُهدِّثه
وَعَدُّ، فبالله أنصفُ مُحسناً بَعْدَكَ!
فإنما صَفُوها مُستجمَعٌ عندك
من نعمة تُرتجى في مُقبَلِ بَعْدَكَ

الأمير:

ما كنتُ من عرف الهوى لولاك
ما دنتُ إلا للجمال ولم أجد
لا تحذري مني السُّلُو فإنني
وأذوقُ كأس الموت دون غضاضة
لا تجزعي خوفَ الفراق فمهجتي
أو عِشتُ إلا من نعيم هواك
حسنًا إليه عبادتي إلَّاك
أسلو الحياة إذا سلوتُ نذاك
طوعًا، وأخشى أن أجنَّبَ فاك
في راحتك، ورحمتي عيناك!

الأميرة:

أخشى الفراق فإن قربك مهجتي
فإذا نأيت فكل أنيس شاك!

الأمير:

سمعا رَضِيْتُ بقائي
أنا الأسيرُ لحسنِ
ولن أبالي بعُقبِي
هاتي الشرابِ وغمِّي
فرحلتني في سبيلك
له فؤادُ خليلك
حُبي ووَحْيي دليكَ
هاتي حياة قَتيلك!

(تبتسم في دلال وتناولوه كأس شرابه وترفع كأسها دون أن تشرب مغنية هذه
الآبيات التالية.)

الأميرة:

الحب أوله دُعابه حتى يُعوِّدنا اصطحابه
فإنّا تمكّن لم يَشَأْ بعض القناعة والإجابه
يَسْتَصْغِرُ العَقْلَ الحَصِيدَ ف وقد يَخْصُّ به عِقابه
عِشْ يا نعيمِي لا تَخَفْ قُرْبِي وَخُذْ أْحْلَى الدُّعابه!

(يضحكان ويتبادلان القبل ويشربان وهي تكرر البيت الأخير ثم تجر الأميرة ستارة قصيرة تحجب السرير عن الداخل إلى المسرح وإن لم تحجبه عن النظارة.)

الخدّام كافور (يسمع صوته من الخارج مخاطبًا مربية الأميرة لدى باب المقصورة):

استيقظي يا عجوز!

المربية:

ماذا وراءك؟

كافور:

افتحي! افتحي! فهذي هديه وصفُوها قِلادَةً دُرِّيَّةً
وهي أعلى من التي^١

(سكون واستدراك.)

^١ كاد يجري لسانه بزم الأميرة (حياة النفوس) لأنه يبغضها حيث قلعت أضراسه سابقًا.

افتحي! افتحي! فهذي الهدية

المربية:

ليس عندي المفتاح فاذهب ودعنا!

كافور:

كيف أمضي برغم أمر مليكي؟
قال لي واجه الأميرة فوراً

المربية:

هايتها هاتها وكن مطمئناً سوف تزهو غداً بجيد (الأميرة)

كافور:

ما سرُّ دَفْعِك لي وهذي تُحْفَةٌ
جاءته من مَلِكٍ عظيم مثله
نَدَرْتُ فجاد بها الملك لبنته؟
فاختصَّ زينتها بزينة بيته!

المربية:

اذهب كفى إزعاجنا في مثل هذي الساعة!

كافور:

انتهي يا عجوز! انتهي! انتهي!

(ثم يحاول فتح الباب، وأخيراً يدفعه ويدخل بعد انكسار القفل من هز الباب.)

كافور (متعجبًا من ظهور الغرفة حيث الشموع موقدة والخمر ممددة للمشرب ...
إلخ):

ماذا جرى؟ ماذا جرى؟ أين الأميرة يا تُرى؟

(ثم يدنو من السرير ويزيح الستارة فيترجع مذهولاً من مشهد نوم الأميرة
في حضن الأمير ويستيقظان من حركته فينادي كافور الأمير غاضبًا):

من أنت يا هذا؟ من أنت يا هذا؟

الأمير (مبهوتًا):

لا تُسئ ظنًا بنا! لا تسئ ظنًا بنا!
لا تسئ ظنًا فما كان الهوى عازًا، ولست سوى أمير!

الأميرة (معززة الأمير في وجل):

(أردشير)

كافور:

أيها الحراس! أيها الحراس!
احرسوا المقصورة! احرسوا المقصورة!

(يدخل أربعة من الحراس مدججين بالسلاح بينما تترامى الأميرة على قدميه.)

كافور (مخاطبًا الأميرة وقد كادت تفقد رشدها):

هيهات! هيهات! ... حقُّ عليَّ علمُ أبيك
هذي الدعارة ليستُ أهلاً لبنتِ مليك!

أردشير وحياة النفوس

(ثم تنزل الستارة استعدادًا للمنظر الثاني.)

المنظر الثاني

مقصورة الملك عبد القادر

(يراعى في أثاثها ومناظرها أبهة الملك، وباعتبار هذا المنظر ختام الفصل الثالث فمن الميسور استعمال أثاث شبه ثابت له.)

الملك عبد القادر (جالسًا على كرسي وبجانبه وزيره):

لا شك أن بُنيّتي ستُسَرُّ من تلك الهدية
أسنى الهدايا لم تكن إلا لبهجتها السنيّة!

الحاشية (سيدات ورجالًا على الجانبين):

أنت معنى الكرم والعلى والشّمم
فلتَعْشُ في همم ولنَعْشُ في نَعَم
يا ملك البلاد!
إن أرقى الأمم رمزها مَنْ حَكَمَ
فلتدم والعلم شهرة كالهَرَم
قِبْلَةٌ للعباد!

الملك:

شكرًا وقد آن وقد تُ الانصراف فهيا!
وحبذا قبل هذا برقصة كالحُميا!
فالرقصُ سحرٌ كفيْلُ بالميت يُبْعَثُ حيا!
صافى الغناء وصافى للشعرِ فَنَّا جَنيا!

الفصل الثالث

الحاشية (تغني هذه الأنشودة على رقص بعض الجواري):

رُنْحِينَا! رنْحِينَا! يا حياةَ العاشقينَا
يا دواءَ البائسينَا!
يا أغاريِدَ الشَّبَابِ من زَكِيٍّ لِمَلَابِ
وَشُعورِ الحُبِّ فينَا!
من سُويَعَاتِ العَرَامِ في مُدَامِ ومُدَامِ
ونعيمِ الخالدينَا!
إنما العُمُرُ سيمُضي بين أحلامِ وغمُضِ
فلنُزاعِ اليائسينَا!
رَقِصَةٌ أشهى وأحلى من يسارِ ما تَحَلَّى
بسرورِ العارفينَا!
دُمُ ملكِ العصرِ نُورًا يملأُ الدنيا حُبورًا
ومَلانِ التابعينَا!

(تنصرف الجواري بعد أداء تحايا الخضوع.)

الملك (مخاطبًا وزيره):

إني السعيدُ بليتي وهديتي لبنيتي

(يدخل الخادم كافور خاشعًا مضطربًا ويديه في علبة فاخرة القلادة التي لم يقدمها إلى الأميرة.)

الملك (مندهِشًا):

ماذا؟ ألم تُعْطِ الأميره؟!

الخادم كافور:

كلًا، وما هذي جريره!

الملك:

خبّر وعجّل! قل إذن!

الخادم كافور:

جُد لي بسانحة قصيره
لامي وأحزاني الخطيره!

في خَلْوَةٍ لأبثَّ آ

الملك:

أرضى الحديث بخلوة!

قل لا تُثِرْ غضبي فما

الوزير:

بالخوف من غضب الملك!

قل يا غلام ولا تُثِرْ

الخادم كافور:

وجُد لي بالأمان إذن!

إذن مولاي سامحني

(يرمي له الملك منديل الأمان.)

الملك:

قل يا فتى في أمان!

قل ما لديك أمينا!

الخدم كافور (يقص هذا النبأ والملك في اندهاش واضطراب):

يشق عليّ يا مولاي وصفي فتاتك وهي في حزن الدعاره
فقد ألفتها جنباً لجنب بمرقدِها تضم فتى وتاره
تقبله بشوق بل جنون!

الملك (ثائراً فزعاً):

أجنت يا هذا؟

الخدم كافور:

وحقك ما جنت!

الوزير:

يا للخساره! يا للحقاره!

الملك (ساخطاً مذعوراً سالماً سيفه بيده):

أسرع إليّ با، وعجل
وأيضراً في المرقدِ النَّ
بالفتى الوّح الأثيم!
جس المدنّس باللئيم!

(يخرج كافور مطيعاً معجلاً.)

الملك:

أرأيت كيف مصيبتني ووفاتي
كانت (حياةً للنفوس) فأصبحت
مَنْ ذا يُصدّق نكبتني بفتاتي؟
رمز الممات ولات حين مماتي!

الوزير (بارتياح الدساس):

أما حياتك فهي ملـك للرعية دون شك
عاقب إذن واحفظ حيا تك يا مليكي ذخرك ملك

(يدخل الخادم كافور ثم يتبعه أربعة من الحراس حاملين سرير الأميرة وهي مضطجة عليه مع الأمير أردشير.)

(ويهجم الملك على السرير نازعًا الغطاء فتنفض ابنته وتقف على قدميها مضطربة وكذلك الأمير أردشير، فيحاول الملك أن يضرب عنقها بالسيف فيسبق الأمير أردشير ويرمي نفسه على صدر الملك.)

الأمير أردشير:

ما الذنبُ منها! لا تكن متعسفًا إنني الأثيم فجدُ بقتلي منصفًا

(يهم الملك بضربه فتحول دون ذلك ابنته ويبقى كلاهما متضرعًا على الأرض.)

الملك:

صه يا جبان ولا تلوث مسمعي!

الأميرة:

ما كان ذا جبن، وليس بمدعي بل وارثُ العرش العظيم (بفارس)
القاهرُ البُلدان دون تمنع!

الملك (مسترجعًا ثباته متأملًا في هذا الخبر):

ماذا تقول أيا وزيرِي في ذلك الخبر الخطير؟!

الوزير (وهو محضر سوء):

لا شك هذي حيلة من أسخف الكذب الذميم!
وكلاهما أهل لتع ذيب وتنكيل جسيم!
ثم القضاء عليهما بالسيف كالحكم الحكيم!

الملك (مشمئزًا ثائرًا من جديد، مخاطبًا كافور):

ناد لي السياف نادي!

(يخرج كافور لإحضار السياف.)

سوف والله تلقيان عذابًا ومماتًا كلاهما من جحيم

(يدخل السياف ومعه صبياناه.)

الملك:

أيها السياف في غير ضراعه اقتل الفاسق، لن أَرْضَى الشفاعة!
ثم أتبعه بهذي الفاجره ثم حَلَّ النار ذكرى الآخرة!

(يضع السياف يده على ظهرها فيهب به الملك موبخًا.)

الملك (غاضبًا موبخًا):

اعرف فُروضك أيها السياف هُنَّ الرَدَى لا هذه الألفاظ!

السياف:

هيا إلى النطع هيا

(ويجر الأميرة من شعرها وكذا الأمير، فتنزل الستار سريعًا.)

الفصل الرابع

المنظر الأول

ساحة الجلاد

(على الستارة الخلفية مشهد بعض حائط يمثل جانباً ساحة الجلاد بشكل مروع والنطع في الوسط والجلاد واقف شاهر السلاح والأمير راکع معصّب العينين مُعدُّ للقتل، والأميرة معصبة العينين أيضاً وكل من يديها بيد أحد صبيان الجلاد.)

الجلاد (مشفقاً على الأميرة):

خذاها غلامي ودعها في مخبأٍ بعض يوم
فربما أنقذتها في غير سخط ولوم
عواطف لأبيها!

الأميرة (في صوت الباكية المتهدمة):

عَيْشِي المماتُ إلى جوار حبيبي إن الحياة إذا مضى تعذيبي

دعني أمتُّ موت الغرام شهيدة
وإذا ارتضى مني الفداء وهبته
فأقبَلْ النطع المجيزَ نصيبي^١
طرباً فأحيانى خَلاصُ حبيبي!

الأمير (حزيناً ولكن مشجعاً):

عَجَلْ بموتي فإني
لا خير في العيش يوماً
أعاف عيش الجبان
إذا هوى وجداني
أنا الشقي ولكن
أنا الشريف المُعاني!

الأميرة:

رحمك يا (أردشير)
أشْفِقْ عليه فَتُشْفِقْ
رحمك يا جلاذ
عليّ، فهو المراد!

الجلاد:

انهدبا بها انهدبا!

(يشدها بعنف صبيّاً الجلاد إلى الخارج وهي ما تزال معصبة).

الأميرة (عن بعد قليل في صوت الباكية):

وداعاً يا مُنى روحي وداعاً
وستتبع^٢ حبك الوافي سراعاً
وسوف أموت في حزني مراراً
إلى أن يخلف الموت اجتماعاً

^١ أي: نصيبيها من الاستشهاد.

^٢ أي: المنى.

الجلاد (مخاطبًا الأمير):

ماذا تروم الآن يا هذا الفتى قبل الممات؟

الأمير:

لا شيء مما يشتهيهِ النـد
بل أن أوكد في أتم الصـد
أس في هذي الحياة
صدق طهري في صفاتي

الجلاد (متضجرًا):

ثم ماذا؟ * ثم ماذا؟

الأمير:

فإلى الجمال مُعزَّرًا
وأنا الأمير المرتجى
أهدي جمال صلاتي
في (فارس) للآتي
وأبي المليك سيهدم الـ
ظُلَامَ جمعًا هَدَمَ عاتِ

(يُظهر الجلاد بعض الدهشة والارتباك لهذا الإنذار).

صبيان الجلاد (مخاطبين الجلاد الذي يلتفت معهم إلى خارج المسرح في اهتمام

وفزع):

من هؤلاء الجنْدُ في زحـ
وكأنهم بهجومهم
ف أثارَ لنا الغبار؟
قد أعلنوا حرب البوار!

الجلاد:

لا شك جند (الفرس) إذ
من رمزهم ذاك الشعار!

الأمير (متلهفًا):

هذا أبي!

(تنزل الستار سريعًا إتمامًا للمنظر الأول وإعدادًا للثاني لفترة دقيقتين).

المنظر الثاني

معسكر السيف الأعظم شاه وجنده

(يمثل هذا المشهد على الستارة الخلفية حيث ترسم خيام الجند الكثيرة عليها ثم مظهر خيمة «السيف الأعظم شاه» على جانب المسرح وبداخلها هذا السلطان وبعض كبار رجاله العسكريين وهو جالس على كرسي فخم وحوله مظهر العزة، ولكن يجب مراعاة خفة هذا الأثاث والتمكن من سرعة نقله عند تغيير المنظر).

أحد الحراس (شاهرًا السلاح):

مولاي هذا وزير الـ ببلاد يرجو المثل

السيف الأعظم شاه:

دَعُهُ يَنْهُ

(يخرج الحارس ثم يعود وأثره وزير الملك عبد القادر).

الحاشية:

قبّل الأرض! قبل الأرض!

(يفعل ذلك فتكرر دعوته هذه ثلاث مرات، ثم يخاطب الملك في خشوع).

وزير الملك عبد القادر:

مولاي! يبعث سيدي بسلام
ويود يعلم هل له من خدمة
ويقبّل الأرض التي ظلّلتها
صحبته كل عواطف الإكرام
ترضيك في حرب وعند سلام؟
كمقبّل في الجذب ظلّ غمام!

السيف الأعظم شاه:

أيهذا الوزير انهب لمولا
ثم نبّئه أن ابني ما عا
ما أتتني أخباره منذ عهد
فإذا كان لا يزال بخير
وإذا كان قد أصيب بسوء
سوف تُسبى نساؤكم ثم يمحي
ك وبلغه من ثنائِي جزيلاً
د وقد غاب عن بلادي طويلاً
طال عمراً، وكان عهداً ثقيلاً
عندكم فالمنى تناجي الرحيلاً
فالخراب الأكيد يأتي نزيلاً
ذكركم والبلاد تغدو مَحِيلاً!

الوزير (مرتعداً حائراً):

سيدي أمرك العليّ وإني
كلنا يشتهي الأمير معافى
راجعاً بعد ما تغيب عهداً
لرسول العليّ المؤدّي الأمانه
كامل الحظ خادماً أوطانه
في رجوع الكواكب المزدانه!

(يهم بالخروج فتهدب به الحاشية: «قبل الأرض! * قبل الأرض!» فيفعل ذلك
ويسرع في الخروج.)

كبير الضباط:

مولاي لست بكاتم
وأردت أن أخفيه عنك
نبأً خطيراً قد أتاني

أردشير وحياة النفوس

السيف الأعظم شاه (وجلاً مقاطعاً):

فقل إذن! ماذا دهاني؟!

كبير الضباط (مهدتاً):

مولاي!

السيف الأعظم شاه:

قل! ماذا لديك؟

كبير الضباط:

الآن أسباب التّهّاني!

برغم خوفٍ ما دعاني

بقرب مأمول التّداني^٣

لأ ما عقدتُ على لساني

ر فكان قتلاً للأماني!

فلقد لمحتُ من الرسول

لأراه في ثقة العليم

لكنني خُبّرتُ قبـ

من قَتَلِ مولانا الأميـ

السيف الأعظم شاه (ومعه الحاشية):

يا للمصاب! يا للعقاب!

ويل لهم! عمّ الخراب!

^٣ اللقاء.

كبير الضباط (مهدئاً):

لكن رُوَاتِي أَخْطَأُوا في بعض ما قد خَبَّرُوا
فمَجِيئُنَا قَدْ أَرَعِبَ الـ حَكَّامٌ حَتَّى اسْتَأْخَرُوا
مَنْ بَعْدَ مَا قَدْ كَادَ يَقـُ تَلٌ وَهُوَ عَفٌّ خَيْرٌ
عُدُوهُ مِنْ أَهْلِ الْفَجُورِ فَعَذَّبُوهُ وَمَا دَرُّوا
وَأَبَوُا لَهُ نَسَبَ الْإِمَا رةٌ وَهُوَ لَا يَتَقَهَّقِرُ
وَالآنَ هُمْ فِي جِبْنِهِمْ وَقَدْ اسْتَبَانَ الْعَسْكَرُ
لَمْ يَحْفَلُوا بِمَبِيئَتِهِ جَنْبَ الْأَمِيرَةِ فَافْتَرُوا
وَتَطَاهَرُوا بِحَلَى الصِّدَا قةً، وَالصِّدَاةُ جَوْهَرًا!

الحاشية (في دهشة الفرح):

هذا الأمير! هذا الأمير!

(يدخل الأمير مشتاقاً إلى والده فيتعانقان.)

السيف الأعظم شاه:

جَدَّدَتْ بِالْعَوْدِ لِي مَفْقُودَ أَفْرَاحِي فَاَنْظُرْ إِلَيَّ تَذِقُ رُوحِي مِنَ الرَّاحِ!
عَهْدٌ مَضَى لَمْ يَدَعْ فِي الْعَيْشِ لِي أَمَلًا وَالْعَمْرُ مَأْمَلُهُ نَسِيَانُ أَتْرَاحِ
يَا زِينَةَ الْمَلِكِ يَا تَاجِي وَيَا قَمْرِي مَا عِزَّةُ الْمَلِكِ فِي بَأْسِ وَأَرْبَاحِ
إِنْ غَابَ مِثْلُكَ غَابَتْ بَعْدَهُ هِمَمٌ فَرُوحُكَ الْمِثْلُ الْأَعْلَى لِلْأَرْوَاحِ!

الأمير أردشير:

أبي! وَحَقِّكَ بُعْدِي عَنْكَ أَشْجَانِي كُنْتُ السَّعِيدَ وَكُنْتُ الشَّاقِيَّ الْجَانِي

٤ عف: عفيف. وخير: كريم.

مُنَّعْتُ — بعد شهور لا أكَيِّفُها
حتى افْتُضِحْنَا فكاد السيف يُشْطِرْنَا
لم يدر أنني أمير أو درى وسعى
ودس خادمه (كافور) منتقمًا
لولا وفودك في آساد مملكة
في شِقْوَتِي (بِحَيَاة) الخلد للفاني
في غُضْبَةِ الْمَلِكِ الْمُسْتَصْغِرِ الْعَانِي
وزيره سعي غَدَّارٍ وَخَوَّانٍ
منا فألهب طغيانًا بطغيان!
لما حيينا، فأطعمنا لنيران!

السيف الأعظم شاه (متأثرًا حانقًا):

سِيحَاسِبَانِ عَلَى الْجَنَّا
لَوْلَاهُمَا لَكُفِّيتَ تَعَدِي
يَا بِالْمَمَاتِ كِلَاهِمَا!
ذَيْبِ الرَّدَى لَوْلَاهُمَا!

(أحد الحراس يعلن قدوم وزير السيف الأعظم بقوله: «هذا وزيرك يا مولاي
قد حضر.»)

وزير السيف الأعظم شاه (مقبلًا الأرض في غبطة وإجلال):

مولاي هذي نعمة
فلقد يئست من النجا
كالبعث للميت الشهيد!
ة وعشت في موت أكيد!

السيف الأعظم شاه:

يا وزيرى الشهم إنى
ليس عندي أي شك
لم تدع جهدًا ونصًا
لبني الشهم حتى
قد أراك في مقامي
في شعور منك سام
دون إسداء وفتيًا
صار تاجًا لي سنياً

الوزير:

العهد أن أوفي بعهد حياتي

(يعلن أحد الحراس قدوم وصيفة من وصيفات الأميرة «حياة النفوس» بقوله):

إحدى وصيفات الأمير مرة تطلب الإذن الكريم

السيف الأعظم شاه:

ماذا لديك؟ تقدّمي!

وصيفة الأميرة (بعد أن تقبل الأرض بين يدي الشاه):

يا ملك الملوك عندي سؤال للأمير العزيز حتى يُلَبِّي
داعي الحب أو دواعي الرجولة
بعثتني أميرتي في خفاء كي تُنَجِّي فخطبها أي خطب
رغم صبر ما زال يحكي البطولة!

الشاه والأمير (في تلهف معًا):

ما خطبها؟! ما خطبها؟!

الوصيفة:

والله يا مولاي ما زالت كما
لولا الفتى السيف ما عاشت ولا
لولا قدومك بين جُندك هكذا
والآن تبعث للأمير رجاءها
فإذا أراد مضت وفيّة حبه
حملت مصائبها لأجل غرامه
إن لم تشأ مولاي أو لم يرضها
فأقل ما ترجوه منه مروءة
فلربما قُتلت بغير جريرة
تُرِكْتُ أسيرة سجّنها في قصرها
عاش الأمير ولا اجترأت لذكّرها
لمضى القضاء بعمره وبِعمرها
ليفكّ — شأن وفائه — من أسرها
معه، وإلا بُرئت من وزرها
والآن ترقب حُكمه في أمرها
إلّفا له وسلا لذاتة سحرها
السعي في إنقاذها من قهرها
أو جُسِّمَتْ في الحبس نعمة قبرها!

الأمير:

يا إلهي نَجِّها! إنني أحيا لها

الشاه:

يا وزيرِي سر لتخـ طبها عروسًا للأمير
واطلب بلا لين ولا رفق معاقبة الوزير
والخادم الجاني فما غير الردى عقبى الأثيم
اذهب وهيئ كل خيدـ ر للأميرة يا حكيمي!

الجميع (في شكر الملك):

هكذا الإحسان للأماني
هكذا الإنسان غير فان
من نذاك!
ألف شكر يا ملك يا رحيم
أكرم الأخلاق فيك يا عظيم
في عُلاك!
هكذا الأفراح والأغانى
تقتل الأتراح في ثوان
من رضاك!

(ثم تنزل الستارة لفترة دقيقتين إعدادًا للمنظر الثالث.)

المنظر الثالث

قصر الملك عبد القادر

(يمثل المنظر بهو القصر الجميل في أبهج زينة والملك عبد القادر جالس على كرسي ملكي فخم وعلى جانبه المقاعد لكبار رجال الدولة وللأمير أردشير ووزير والده السيف الأعظم شاه. هذا وتبدو طائفة من حاشية الملك عبد القادر وجواريه في شكل نصف دائرة وفي اتجاه إليه.)

الحاشية:

صافى الزمان المعادي مذ راحت الأشجان
فالأنس ضحيانٌ بادي في نور كل مكان
والملكُ في أي نعمه!
عش يا أمير البلاد في عزة السلطان
تحتل كل فؤاد بالعطف والإحسان
والسعي في نفع أمه!

الملك عبد القادر (راضياً):

اليوم فلنخفق لنا الأعلام!
وتطايرت سُبُ الظنون بما وعت
وأذيق دسّاس الوزارة حنّفه
شنيقا على باب المدينة عبّرة
عفوًا أمير الأمتين ومرحبًا
أما الأميرة فهي طوعك بعدما
فاذهب كريمًا بالتحية والرّضى
أو فليسر قبل الوزير فإنه
وافى الزمان وطابت الأحلام!
من شرها، وأنجابت الآلام
والخادم المتحايل النّمّام
للخائنين لتصلح الخدّام!
بأبيك! ولتسعد بك الأتوام!
سُئلت، فخذها أيها المقدم!
لأبيك! ذلك حظك البسّام
نعم الرسول الحاذق العلام!

الأمير أردشير (مبتهجًا):

لك الشُّكرُ الأجلُّ فأنت عندي نظيرُ أبي وقد أنقذتَ نفسي
رضاك الآن عن سؤلي جميل يضاعف من مسراتي وعُرسِي

وزير السيف الأعظم شاه (مرتاح النفس لنجاحه):

الآن باسمِ مليكي المتصافي أهدي إليك تحية الأشراف
وثناءه العالي لموقفك الذي سيعيش للذكرى بخير كاف
وليقِّ مولاي الأمير فإنني سأعود في ركبِ الملك الضافي
فلقد أبي إلا الحضور وإن يكن في رتبة الشرف الأعز الوافي

(يخرج بعد أداء تحية الاحترام.)

الأمير أردشير:

أتسمح مولاي يا رافعي إلى منزل الحب من جانبك^٥
بدعوة سيدتي من لها حياتي لِتُسَعَدَ من جانبك؟^٦

الملك عبد القادر:

سمِّعًا! فهذا واجب حتى ترى الملك العظيم
وتُخَصَّ منه بقبلة للحب من عم رحيم

(مناديًا رئيس الحرس):

^٥ أي: إلى قلبك.

^٦ أي: من طرفك.

الفصل الرابع

اذهب رئيس الجند واد ع لنا المعززة (الأميره)
واحمل لها النخب الهدا يا والأعاجيب الكثيره

(يخرج رئيس الحرس لدعوة الأميرة — بعد أداء تحية الخضوع — حاملاً في علبة فخمة ما فوق مائدة الملك من هدايا الجواهر والحلي المرسله إليها من السيف الأعظم شاه.)

الأمير أردشير:

ضمنت بالعدل ملكاً يعيش عيشاً رضيعاً
وقد ملكت ببراً روحاً وقلباً وفيّاً
كما خلفت إخاءً للدولتين قوياً
فكنت عمّاً حكيماً وكنّت تاجاً سنياً

الملك عبد القادر:

ما مضى قد مضى وما قد تولى أنت سَمَح يراه بالصَّفْحِ أولى
هكذا يُحسن العقيدة شَهْم صار للملك والسعادة أهلاً
يا بُنَيَّ العزيز قبلاً وصهري عن قريب كَرُمْتَ نفساً وأصلاً

(يدخل رئيس الحرس معلناً: «الأميرة!» ثم تدخل الأميرة وتبدي الخضوع لوالدها والشوق والابتسام لخطيبها، وخلفها وصيفتان حاملتان ذيل طيلسانها، فيقبل عليها الأمير في شغف ويقبل جبينها، ثم ينشد الأبيات التالية ماسكاً يديها بيديه فترة.)

الأمير أردشير (بشغف وسرور عظيم):

الآن أنت لي الدنيا وما فيها فمشرقك منك يُغنيها ويكفيها!
رجعت بعد غياب الشمس تاركة شتى الحياة تُعاني من تجافها!
فأشريقي اليوم يا شمسي بلا كُلف وأظهري حسناتٍ لست أخفيها

ليشهد الناس نفسي في تحرُّقها تَلَقَى لَدَيْكَ شِفَاءً لَيْسَ يَشْفِيهَا!
بَبْثَّتِ حَبْكَ نَوْرًا فِي مَظَاهِرِهَا وَأَلْطَفَ الْأَنْسِ وَحِيًّا فِي خَوَافِيهَا!

الأميرة (في ذروة السعادة):

أبي! أميري! سأحظى منكما أبدًا بأكرم الحب من قلب ووجدان
يا ساعة الحظ هذي أنتِ لي نَعْمُ كأنما أنتِ عُمْرٌ لِلْمُنَى ثَانِ!
ما عشت أحفظ زكري لن يبدها عُمْرٌ يَمُرُ وَلَا تَجْدِيدَ إِحْسَانِ!
زكري الأماني الغوالي وهي عائدة مثل العروس تجلّت بعد هجران!
حيّت فأحيت فؤادي بعد مَيِّتَتِهِ كِلَاكُمَا قَبْلَهَا حَيًّا فَأَحْيَانِي!

(يُسمع صوت بوق فيعلن رئيس الحرس: «جلالة الشاه أقبل!») وينزل الملك عبد القادر عن كرسيه ويقف مع ابنته والأمير أردشير محاطًا بالحاشية استعدادًا لاستقبال السيف الأعظم شاه ومن معه.)

الحاشية (تنشد هذا الترحيب):

هكذا المُفْرَدُ مِنْ أَوْفَى الحَبُورِ * للملوك
هكذا ألوان نور بعد نور * في سُلُوكِ
وعقود، ونعم! سيفنا الأعظم يا شاه العجم * يا همام
مرحبًا بالفضل والمجد الأتم * للأنام
وجنود، وهمم!

(يدخل السيف الأعظم شاه وخلفه وزيره وطائفة من كبار حاشيته وجنده، فيعانق الملك عبد القادر، ويقبل الأميرة حياة النفوس التي تحببه خاضعة، كما يقبل الأمير أردشير بينما تكرر الحاشية النشيد السالف الذكر.)

السيف الأعظم شاه (مخاطبًا الملك عبد القادر):

يا أخي عشتَ سيد المكرّماتِ مُستعزًّا وصاحبَ التهنّئاتِ
قد غدونا بمُقبل العُرس أهلاً وبهذا غنمتُ حلم الحياة!

الملك عبد القادر (متواضعًا):

يا حامل التّاج الرّفيـد مع وصاحب الملك البديع
ومُعَرِّفي عهد الأخو ة مثل تعريف الربيع
مترقِّقًا بالفضل والـ إخلاص للخِلِّ المطيع
أنا و(الأميرة) يا مليـد لك لديك في حُكم الجميع!

السيف الأعظم شاه:

عفوًا وشكرًا عظيمًا وصدّق إخلاص قلبي
رأيت منك جلالًا محببًا طول قربي
كما رأيت خِلالًا ضَمِنَ إيثار حبي
واليوم باركتَ عرسًا لنا فأكرمتَ شعبي
مواهب فاتنات من المآثر تُسبي
نشرتَ سلماً وصفوًا وذاك قصدي وحسبي!

الملك عبد القادر:

أمنية العمر هذي فالحظُّ ضعُفان عندي!

الأمير أردشير:

سديّي اسمها بشكري كثيرًا هكذا تنقذان روحًا أسيرًا
هكذا تُسعدان صَبَّيْن باتا وَحَدَّةً تنشر الرجاء الوفيرًا

الأميرة (في اغتباط وشكر):

الحمد للإنعام واجب حمد المناقب والمواهب
قد كنتُ أهزأ من زما ن صار يُحسب خيرَ صاحب
وبدأتُ أشعر بالحياة وفيه لا هزل لاعب
أذهب زمان متاعبي وتعال يا مُفني المتاعب!

(فيقبلها الأمير في جبينها، وتنشد الحاشية منتظمة حول الملكين وولي العهد والأميرة ووزير الشاه في الوسط، وترقص بعض الجوّاري أمامهم على هذا النشيد الختامي.)

الحاشية:

يا صفاء الزمان يا زمان الصفاء
أنتما توأمان تعلنان الرجاء
بين تاج ورعية!

* * *

مَطْلَعُ الأفرّاح حيًّا كل قلب فتَهَيًّا
بأناشيد الحميًّا ليرى الحسن السريًّا
يملاً الدنيا حُلِيًّا!
والهوى سلطان دهر سيد الأحكام يجري
أمره في كل أمر ليس يرضى أي عذر
حكمه يمضي عليًّا!

* * *

يا صفاء الزمان يا زمان الصفاء
أنتما توأمان تعلنان الرجاء
بين تاج ورعية

(ثم تنزل الستار عاجلاً في ختام النشيد.)